# (Jurisprudence of the Stage through Quranic Stories)

Khalid Ahmed Mohammed[1], Omeed Mikaeel Saeed[2]
[1] Department of Arabic language, College of Education, Salahaddin University-Erbil, Erbil, Kurdistan Region, Iraq,
[2] Department of Arabic language, College of Education, Salahaddin University-Erbil, Erbil, Kurdistan Region, Iraq

DOI: https://doi.org/10.31918/twejer.2574.14

Published: 15/1/2025

## Abstract

*This research, entitled (Jurisprudence of the Stage through Quranic Stories), aims to study the circumstances in which stories were revealed in the period before and after the Hijra, so that we can understand our reality through them. The research consists of an introduction to introduce the vocabulary of the title, a secqtion on issues specific to the Meccan stage, a second section: on issues specific to the Medinan stage, and a third section: on issues common to them. The qresearch concluded with results including: The Holy Qur'an focused on telling stories as the most prominent aspect, and what the prophets and their followers did were all successful experiences, which makes it necessary for us to work and follow in their footsteps, and benefit from their experiences that are sufficient to confront the challenges and achieve the victory and empowerment that will inevitably be achieved - with permission. God - even after a while.*

**Keyword**: *jurisprudence, stage, stories, Quran, Meccan, Medinan*

# (فقه المرحلة في ضوء القَصَص القرآني)

الدكتور: خالد أحمد محمد
اللقب: مدرس.
التخصص العام (علوم القرآن) التخصص الدقيق: (التفسير)
مكان العمل: مدرس في قسم اللغة العربية/كلية التربية-جامعة صلاح الدين-أربيل
Xalid.Mohammed@su.edu.krd

الدكتور: أوميد مكيائيل سعيد
اللقب: مدرس.
التخصص العام: (الشريعة)التخصص الدقيق: الفقه المقارن
مكان العمل: مدرس في قسم اللغة العربية/كلية التربية-جامعة صلاح الدين-أربيل
Aumed.saeed@su.edu.krd

**الملخص**

يهدف هذا البحث إلى دراسة القصة في القرآن الكريم، في ضوء ملاحظة الظروف والأحوال التي كانت تنزل فيها تلك القِصص، في مرحلة ما قبل الهجرة النبوية، وما بعدها، وذلك لنفهم بها واقعنا ونواكب مستجدات عصرنا.

واقتضى البحث تقسيمه على ثلاثة مباحث، مسبوقاً بتمهيد للتعريف بمفردات العنوان، يليه المبحث الأول للقضايا الخاصة بالمرحلة المكية، ثم المبحث الثاني للقضايا الخاصة بمرحلة المدينة، وبعده المبحث الثالث: للقضايا المشتركة بين المرحلتين، وقد اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي في بحثنا، الذي توصلنا فيه إلى نتائج، من أبرزها: أن القصة في القرآن الكريم كانت تنزل وفق المرحلة التي كانت تنزل فيها، إذ تركزت في العهد المكي على التوحيد والتحلي بالصبر في مواجهة المشركين، بينما اختصت في المرحلة المدنية بما يقتضيه بناء الدولة والحفاظ عليها من الإصلاح الداخلي وبناء المؤسسات والتحذير من المنافقين وأهل الكتاب ومجادلتهم، فضلاً عن الصراع الفكري ومحاربة الفساد في المرحلتين. وكذا أظهر البحث أن ما قام به النبيون وأتباعهم كله تجارب ناجحة، وهي نماذج فريدة يحتذى بها، وأن علينا أن نراعي الأولويات في التنظيم والعمل. وأن يعمل كل منها وفق مرحلته وبيئته، ولا ننتظر النتائج القريبة، فهي تتحق لا محالة -بإذن الله- ولو بعد حين.

الكلمات المفتاحية (فقه، المرحلة، القصص القرآني، المكي، المدني).

## المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين نذيرا، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد قال الله عز وجل مخبراً عن الأنبياء عليهم السلام: [ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] [يوسف:١١١]. وقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: [ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ] [هود: ١٢٠].

ومن المعلوم أن القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة، كالكتب السابقة، بل نزل منجماً في بضعة وعشرين سنة، في مرحلتين أساسيتين، إذ نزل جزء كبير منه في(مكة)، والجزء الآخر نزل بعدها في(المدينة)، وهو ينفرد بهذا الأسلوب الجميل في عرض جلّ موضوعاته ومنها القصص القرآني، إذ لا يعرض القصة دفعة واحدة، بل يعرض في كل موطن ما يناسب الجوّ العام الذي يهيمن على السورة والأحداث التي رافقتها، وهذا ما دفعنا إلى أن نرصد جزءاً من تلك القصص في المرحلتين، ونبين المعالم الأساسية لها، في هذا البحث الموسوم (فقه المرحلة في القصص القرآني)، علّنا نقف على بعض الحِكَم والدروس التي يمكن أن تُستخلص منها، فنفهم بها واقعنا، ونتعايش -في ضوء ذلك- مع الظروف التي تواجهنا.

**أهمية البحث:**

تكمن أهمية البحث في أنه يدرس القرآن الكريم من زاوية القصص القرآني الذي يحتل مساحة كبيرة من اهتماماته، لما جبل عليه الناس من التأثر بالقصص وفهم الواقع به مباشرة، لما يتسم بالصدق والواقعية والدقة في وصف المشاهد، وبيان أخبار السابقين، ولا يقتصر البحث عند ذلك بل رام إلى بيان العِبر من تنوع القصص في المرحلتين المكية والمدنية، وذلك برصد الأحوال والظروف التي كانت يسايرها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة أثناء نزول تلك القِصص، وإدراك الحِكم والمقاصد التي روعيت في ذلك مما يمكننا أن نفهم به مرحلتنا وندرك به ظروفنا وما يحيط بنا. وبذلك نعايش القرآن الكريم وكأنه نزل بيننا اليوم لو أحسنا فهمه، وتنزيله على واقعنا.

**أسباب اختيار البحث:**

١-التعلق بكتاب الله تعالى قراءة وفهماً، وتقديم العلم به على غيره لشرفه ومكانته، إذ هو حجة عند المسلمين قاطبة، وأما سبب اختيار القصص منه موضوعا للدراسة، فلما جبل عليه الإنسان من الانفعال والتأثر بالقصص أكثر من غيره، لما يحمله من طابع التشويق وإيصال الفكرة إليه بطريقة مباشرة وواقعية.

٢-ما لاحظناه عند الكثيرين –من أبناء جلدتنا- من الانبهار بالقيم والقوانين المستوردة، في مقابل الازدراء بما في ديننا الحنيف من الأخلاق النبيلة والأحكام السامية الكفيلة بسعادة الإنسانية، حتى ساد عندهم أن الدين الإسلامي لم يعد صالحاً لهذا الزمان، مما دفعنا إلى الشعور بخطورة هذا التصور، وضرورة دفعه ودحضه، والعمل على تبصير هؤلاء بحقيقة القرآن الكريم الذي يخاطب العقول في كل زمان ومكان، ويلاحظ في نصوصه اختلاف البيئات، وتنوع الثقافات، وتقلبات الظروف والأحوال، مع حفاظه على المسلمات والثوابت التي لا تتغير مهما ارتقى الإنسان في الماديات.

٣-ما لمسناه من تميّز القرآن الكريم بمنهج فريد في عرض القصص، إذ لم يذكر كله دفعة واحدة، بل قد نجد قصة ما قد ذكر أجزاؤها في أكثر من سورة، ربما نزل بعضها في مكة وبعضها الآخر بالمدينة، وهناك قصص ذكره وأكد عليه في أكثر من موضع، وكل ذلك بأساليب متنوعة تختلف من موضع لآخر، مما أوقفنا ذلك، وأثار عندنا الدافعية لمعرفة سرّ ذلك، وعلاقته بحياة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في مكة قبل تأسيس الدولة وفي المدينة بعد تأسيسها، وما أثر ذلك في حياتنا التي نعيشها، وواقعنا المفعم بالتحديات والصعوبات التي كدرت صفاء السعادة ونقاء الروح.

**الدراسات السابقة:**

لم نقف –حسب اطلاعنا- على دراسة للقصص القرآني متضمنة فقه المرحلة، على الرغم من الكتابات والمؤلفات القيمة الكثيرة في القصص القرآني.

**نطاق البحث:**

تناول هذا البحث دروساً ونماذج من القصص القرآني، للأنبياء والصالحين، ومخالفيهم من الطغاة والظلمة والمفسدين، ورصد ذلك في قِصص نزلت في مكة وأخرى في المدينة، وما يحمل مظامينها من دلالات وعبر، وما امتازت به كل مرحلة من قضايا، وما كان مشتركاً بينهما.

**مشكلة البحث:**

١ -واقعنا ومرحلتنا التي نعيش فيها مليئة بالصعوبات والأمراض والتحديات التي أدّت إلى غلبة اليأس والإحباط على نفوس شريحة كبيرة منا، مما يتطلب منا دراسة دقيقة متأنية للقرآن الكريم الذي جعله الله كتاب هداية وإصلاح، وبياناً شافياً لأمراض المجتمع ومشكلاته، وذلك إذا أحسنا تنزيله على واقعنا، واسترشدنا بقوانينه العامة وسننه الكونية. التي تجعلنا في حركة تفاعلية معه وأن نجدد عهدنا به على الدوام.

٢-ساد بين فئة غير قليلة -في ظل هيمنة الفكر المادي والإلحادي على مجتمعاتنا وضعف الوازع الديني بينهم- أن القرآن الكريم كان لفترة زمنية محددة، وأنه لم يعد صالحاً لواقعنا المعاصر، مما يحتم علينا أن ندحض هذا التوجّه القائم على القراءة السطحية للقرآن الكريم، فضلاً عن التغافل والتجاهل للواقع الذي حكم فيه المسلمون لقرون بعد زمن نزوله، وأنهم كانوا يقودون ويحكمون أكثر أصقاع الأرض بهذا القرآن العظيم.

٣-وجود الفوضى في حياتنا أفراداً وجماعات في تنظيم الأعمال، وتقديم الأولويات، وما يتطلبه كل عمل –بناء على أهميته وعموم فائدته-، وكذلك ما نلاحظه من انعدام التوازن بين الأعمال الدينية والدنيوية، والإفراط في إحداها على حساب التفريط في الأخرى.

٤-اعتقاد الكثيرين أن صحة الدين وحقيته تعني الظفر بحكم الناس والنصر على الأعداء، وأن ذلك هو الغاية العظمى من الدعوة إلى الله تعالى.

هذه الإشكالات وغيرها الكثير يمكننا أن نقف فيها على الإجابات عنها من القرآن الكريم ولا سيما في قصصه الذي -يمثل جزءاً كبيراً منه- يحدثنا عن أخبار السابقين، وقد نزل القصص وهو يحاكي وينقل للنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ما جرى للأنبياء وأتباعهم ما يكون تسلية لهم ورسماً لما يجب أن يكونوا عليه في مختلف مراحل حياتهم، كما يمدنا تنوع القِصص وملاءمتها لمختلف البيئات بدروس وعِبر نواجه بها مرحلتنا التي نعايشها.

**أسئلة البحث:**

١-ما الصلة بين القصص القرآني والواقع الذي كان يعيشه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته؟ وهل كان للاختلاف المكاني والزماني أثر في ذلك؟

٢- بما ذا يتميز القصص القرآني؟ ولماذا لم تُذكر كلُ قصةٍ متعلقةٍ بنبيٍ أو شخصيةٍ دفعةً واحدةً؟

٣- طبيعة التشابه بين ما كان يمر به النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، وبين ما كان يعايشه الأنبياء عليهم السلام من قبله وأتباعهم. هل معنى ذلك أن الصراع بين الحق والباطل انتهى بظهور هؤلاء الأنبياء عليهم السلام على أعدائهم، أم أن ذاك الصراع قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، مع تباين في الطرائق والأساليب؟

**أهداف البحث:**

١- بيان القضايا الكبرى التي أولاها القرآن الكريم الأهمية وركّز عليها في القصص، وإظهار العلاقة بين القصة والواقع، وأثر ذلك في حياتنا.

٢- الدروس التي يمكن أن يستفيد منها المسلمون في تركيز القرآن الكريم على بعض جوانب القصص في بعض المواطن، وعلى جوانب أخرى من القصة نفسها- في موطن آخر، وإيرادها في كل مرة بطريقة تخالف عما سبقتها، وأثر ذلك في تنظيم حياتهم وترتيب أولوياتهم.

٣-تصحيح النظرة والتصور الخاطئ الذي يرى أن النصر والتمكين هو بالظفر بالحكم فقط، مما أدى بالبعض إلى التكاسل واليأس من تغيير الواقع، والاستسلام لما هو موجود، كما غرّ البعض الآخر رؤيتهم لوميض النور من هنا وهناك فظنوا أن هذا كاف دون أن يقوموا بواجبهم، مع أن سنة الله لا تتغير ولا تتبدل في الأمم والجماعات. من ضرورة العمل وفق شرع الله تعالى وسننه الكونية، كل حسب قدرته وفي إطار الظروف المتاحة له.

٤- فهم كيد الأعداء للتربص بالدعوة ورجالها منذ ظهورها إلى يومنا هذا، والإلمام بالطبيعة البشرية ومواقفهم إزاء دعوة الأنبياء، وكيف كانت استجابتهم لها، والوقوف على جانب من تلك المحاججات والمناظرات التي وقعت بين الأنبياء والصالحين مع المخالفين لهم، ومن ثم استخلاص العبر والحكم منها، لنساير بها واقعنا وندرك كيف يمكننا أن نواجه التحديات والصعوبات التي نعيشها وكيف نتغلب عليها.

**منهج البحث:**

اتبعنا في كتابة البحث المنهج الوصفي التحليلي، إذ قمنا بعرض النماذج التي لا بد منها لتوضيح المعالم الأساسية للقضايا الجوهرية التي روعيت في القصص القرآني في المرحلتين المكية والمدنية، وما اختص به كل مرحلة، ووقفنا عند بعض تلك النماذج باستنباط الحكم والفوائد التي تؤخذ من تلك القصص، إلا أننا لم نخص في تفاصيل أقوال العلماء في الآيات ولا سرد اختلافاتهم وتفسيراتهم حول الآيات إلا ما لا بدّ منها، لأن القصد منها لم يكن تفسير الآيات تفصيلياً بقدر ما كان بيان خصائص المرحلتين، وما تحمله تلك القِصص من مضامين ودلالات وعبر يستضاء بها في السلوك إلى الله تعالى والتعامل مع المرحلة الحالية.

**هيكل البحث:**

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على تمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة، يتضمن التمهيد بيان مفردات العنوان وما يتعلق به.

وخصصنا المبحث الأول: للقضايا الخاصة بالمرحلة المكية (مرحلة ما قبل تأسيس الدولة).

وأفردنا المبحث الثاني: للقضايا الخاصة بمرحلة المدينة المنورة (مرحلة ما بعد تأسيس الدولة).

وذكرنا في المبحث الثالث: القضايا المشتركة بين المرحلتين.

وتضمنت الخاتمة أبرز النتائج التي توصلنا إليها.

نرجو من الله تعالى أن يسدد خطانا وأن يوفقنا لفهم دينه على أحسن الوجوه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## التمهيد: التعريف بمفردات العنوان وما يتعلق به

يحسن بنا قبل الولوج في دراسة الموضوع أن نلقي لمحة موجزة عن المقصود بمفردات العنوان، وما يتصل به، كالمكي والمدني وخصائصها، إذ البحث يتعلق بها، وعليه فنسلط الضوء بإيجاز على دراسة ما يتعلق بالعنوان من النواحي الآتية:

**أولاً: مفهوم فقه المرحلة:**

فقه المرحلة مركب إضافي، مؤلف من جزءين، أولهما: (الْفِقْهُ)، وهو الْفَهْمُ، وإِدْرَاكُ الشَّيْءِ وَالْعِلْمُ بِهِ، يقال: فقِه الْأَمرَ فِقْها أحسن إِدْرَاكه، وهو أخص من الفهم؛ لأن الفقه هو فهم مراد المتكلِّم من كلامه. (ابن فارس، ١٩٧٩م، ج٤/ص ٤٤٢، والرازي، ١٩٩٩م، ص ٢٤٢، وابن القيم، ١٩٦٨م، ج١/ص ٢١٩)، ومصطفى وآخرون، ١٩٨٩م، ج٢/ص٦٩٨). والفقه في الاصطلاح، قد عرفه العلماء بأنه: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية" (السبكي، ١٩٩٥م، ج٢٨/١)، ولذا فالفقه يعنى العلم والفهم الدقيق لأحكام الإسلام في قضايا الحياة وشؤون الإنسان.

وأما (المرحلة)، فهي لغة: (قَدْرٌ محدود من الشّيء) (مختار، ٢٠٠٨م، ج٢/ص ٨٧١)، والمقصود بها الفترة الزمنية المحددة التي يقع فيها حدث ما.

وعليه فإن فقه المرحلة: "هو العلم بأحكام هذه المرحلة بكل ما تحتوي عليه من المكونات والخصائص والتحديات والإمكانيات، ومن ضروب العلم بتلك الأحكام: العلمُ بالنصوص والقواعد والمقاصد الشرعية والمواقف الإسلامية والفتاوى الفقهية والمقاربات الاجتهادية التي تتعلق بالمرحلة، بطريق مباشر أو غير مباشر" (الخادمي -نت، ٢٠٢٤).

ومن ثم فإن فقه المرحلة يرمي إلى ملاحظة مقاصد الشارع من تشريعاته وأحكامه، والمقاصد: "هي المعاني والحِكم الملحوظة للشارع في جميع أصول التشريع أو معظمها" (ابن عاشور، ٢٠٠١م، ص ٢٥١)، فالمقاصد الشرعية: "هي جملة ما أراده الشارع الحكيم من مصالح تترتب على الأحكام الشرعية، كمصلحة الصوم والتي هي بلوغ التقوى، ومصلحة الجهاد التي هي درء العدوان والذب عن الأمة، ومصلحة الزواج والتي هي غض البصر وتحصين الفرج وإنجاء الذرية وإعمار الكون" (الخادمي، ٢٠٠١م، ص١٧).

**ثانياً :مفهوم المكّي والمدني وخصائصها:**

لما كان البحث يتضمن الحديث عن فقه المرحلة في ضوء القصص القرآني، وسور القرآن الكريم موزعة بين المكية والمدنية، فمن ثم لابد أولا من التعرف على المكي والمدني، وذلك بقصد التعرف على مراحل الدعوة الإسلامية وخطواتها الحكيمة المتدرجة الأحداث، والوقوف على أساليب الدعوة المختلفة في مخاطبة المؤمنين والمشركين وأهل الكتاب. (ينظر: الجرجاني، ٢٠٠٩ م، ج٢/ص ٦٣)

**أ-مفهوم المكّي والمدني:**

للعلماء في تحديد المكيّ والمدني من الآيات والسور ثلاثة أقوال (اصطلاحات) مشهورة، لوحظ فيها الزمان والمكان والخطاب، على النحو الآتي:

أولها: لجمهور العلماء، وهو أنّ "المكيّ: ما نزل قبل الهجرة، وإن كان نزوله بغير مكّة، والمدنيّ: ما نزل بعد الهجرة، وإن كان نزوله بغير المدينة".

والثاني: أنّ "المكي: ما نزل بمكة وما جاورها، والمدني: ما نزل بالمدينة وما جاورها".

والثالث: أنّ "المكي: ما كان خطاباً لأهل مكة، والمدني: ما كان خطاباً لأهل المدينة" (السيوطي، ١٩٧٤هـ، ج١/ص ٣٧-٣٨، والزرقاني، د. ت، ج١/ص١٤١-١٤٢، والقطان، ٢٠٠٠م، ص ٦١-٦٢، وسلقيني، ٢٠٠٢م، ص ٥٣).

والتعريف الأوّل القائم على الفصل بالهجرة بين المكي والمدني هو الأشهر والأرجح، لأنه تعريف جامع مانع، يمكن به تحديد كل الآيات القرآنية من حيث كونها مكية أو مدنية، روعي فيه زمان النزول، وهو أولى من رعاية المكان أو الخطاب، لأن معرفة التدرج في التشريع ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وغير ذلك من الفوائد متوقفة على معرفة المتقدِّم والمتأخِّر في الزمان، لهذا كان هذا التعريف هو المعتمد عند أكثر أهل العلم.وعليه تكون آية: [ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ] [المائدة: ٣] مثلًا- مدنية، مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع (السيوطي، ١٩٧٤هـ، ج١/ص ٣٧، والزرقاني، د. ت، ج١/ص١٤١-١٤٢، والقطان، ٢٠٠٠م، ص ٥٣، وسلقيني، ٢٠٠٢م، ص ٥٣، وإسماعيل، ١٩٩٩م، ص ٤٤).

**ب-مقاصد المكي والمدني وخصائصها الموضوعية والأسلوبية:**

وهي خصائص مستمدة من طبيعة المرحلتين اللتين عاشها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في مكة والمدينة، حيث كان في مكة يعاني صدود الكافرين ومقاومتهم، وفي المدينة يبني الدولة الإسلامية ويقاوم مكر اليهود وتآمر المنافقين (البغا، ومستو، ١٩٩٨م، ص٦٦).

**فمن خصائص المكّي:**

١ - الدّعوة إلى التّوحيد، وإثبات الرّسالة، وإثبات اليوم الآخر، والوعد والوعيد، وجدال المشركين بالبراهين العقليّة والآيات الكونيّة.

٢ - وضع القواعد العامّة للتّشريع في الحلال والحرام، والتّركيز على تثبيت مكارم الأخلاق كالعدل والإحسان، وإبطال ما ينافيها من مساوئ الأخلاق كالظّلم والفجور والأذى ممّا كان يفعله أهل الجاهليّة.

٣ - ذكر قصص الأنبياء والأمم السّالفة للعبرة والقياس، وتثبيت فوائد التّبيّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ودعوتهم إلى الصبر وتحمّل أذى المشركين.
٤ - قصر الفواصل بين الآي، مع قوّة الوقع في الألفاظ والإيجاز في العبارة.

**ومن خصائص المدني:**

١ - تفصيل العبادات والمعاملات والحدود وقانون الدّولة الإسلاميّة وسائر شرائع الإسلام ممّا يتناسب التّكليف به مع واقع التّمكّن للمجتمع المسلم.
٢ - التّركيز على دعوة أهل الكتاب وجدالهم ودعوتهم ومعاملتهم، وبيان أحوالهم ضلالهم، حيث كانوا يوجدون في المدينة بعد الهجرة.
٣ - الكشف عن حقيقة النّفاق وشرح صفات المنافقين وأحوالهم، الذين ظهروا بعد تمكين الله لهذا الدين، خوفا من سلطان الحقّ وأهله، وهم يسرّون له العداوة والكيد والتّآمر.
٤ - طول الآيات بما يتناسب مع الشّرح والبيان لشرائع الإسلام. (الجديع، ٢٠٠١م، ص ٥٩، البغا ومستو، ١٩٩٨م، ص ٦٦ ).

والملاحظ أن كتب علوم القرآن تشير إلى أن القَصص القرآني ذكر في العهد المكي، ولعلّ هذا الكلام يقصد به الأغلب والأكثر، وإلا فهناك سور مدنية عديدة ذكر فيها القصص، ولا سيما السور الطوال مثل سور (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة)، وهذه السور تشكل خُمس القرآن الكريم تقريباً، وقد ذكر فيها القصص في أكثر من موضع، إلى جانب إشارات وجيزة إلى قصص بعض الأنبياء في سور أخرى مدنية مثل سور (التوبة، الحديد، الممتحنة، الصف، التحريم...). وقد استولى قصص بني إسرائيل على جلّ المشاهد.

كما أن ما يذكر من تفصيل الأحكام في العهد المدني، قد يراد به ذكر الأحكام التي بها قوام الدين والتأكيد عليها، وذكر جزئيات بعضها التي لم يتعرض لها في العهد المكي، إذ القرآن الكريم فصّل القول في الأحكام العقدية والغيبيات وأصول الأخلاق، أما الأحكام الشرعية العملية فقد اكتفى فيها برسم المعالم الأساسية والخطوط الرئيسة، مما يمكن أن تلتقي عليها الأمة، أما بيان جلّ الأحكام الشرعية وذكر تفريعاتها وجزئياتها المفصلة، فهذا –كما هو معلوم- مما تكفلت به السنة النبوية.

والسور المدنية –في قول أكثر أهل العلم- هي: (البقرة، آل عمران، النّساء، المائدة، الأنفال، التوبة، النّور، الأحزاب، محمّد صلى الله عليه وسلم، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الصّفّ، الجمعة، المنافقون، الطّلاق، التّحريم، البيّنة،).وكذلك سور (المطففين والمعوذتين)، وما عداها سور مكية عند الأكثرين (الجديع، ٢٠٠١م، ص٦٣-٦٤). والسور المدنية تشكل ما يربو على ثلث القرآن الكريم تقريباً.

**ثالثاً: مفهوم القصص القرآني:**

القَصَصَ والقَصُّ لغة: تَتَبُّعُ الأثر، قال تعالى: [فارتدا على آثارهما قصصا] [الكهف: ٦٤ ] أي: رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به، والْقَصَصُ: الأخبار المتتبّعة، قال تعالى: [ لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ] [يوسف: ١١١ ] والقصة: الأمر والحديث والخبر. وقد اقتصَّ الحديث: رواه على وجهه. وتجمع القصة على القِصَص –بالكسر-. والأَقَاصِيصُ جَمْع الجَمْع. (الأصفهاني، ١٤١٢هـ، ص ٦٧١، والزبيدي، د.ت، ج١٨/ص ١٠٤، ومختار، ٢٠٠٨م، ج٣/ص ١٨٢٤).

و(القَصَص) اصطلاحاً: الإخبار عن قضية ذات مراحل، يتبع بعضها بعضاً ( 2023.islamweb.net ).

وقَصَص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة.
أو هو: إخبار الله تعالى عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم أو بينهم وبين غيرهم أفرادا وجماعات، بحق وصدق للهداية والعبرة والعظة . (القطان، ٢٠٠٠م، ٣١٦، والخطيب، ١٩٧٥، ص ٤٠، والقرشي، مجلة، ٢٠١٨، ص ١٤١٢).

## المبحث الأول

## القضايا الخاصة بالمرحلة المكية

إن القرآن الكريم نزل على مرحلتين –كما سبق-، وقد ذكرت القصة بما تناسب تلك المرحلة، فمثلا لو أجرينا مقارنة بين الموضوعات -المذكورة في القرآن المنزلة في مكة قبل إقامة الدولة الإسلامية وبين المذكورة في القرآن المنزلة في المدينة أي بعد إقامة الدولة الإسلامية؛ سنجد أن لكل مرحلة ما يناسبها من فكرة ومن موضوع؛ وهذا الأمر يشمل قصص الأنبياء بشكل عام، فأسلوب عرض القصص القرآني ومحتواه في مكة يختلف عما هو عليه في المدينة، والمتتبع لقصص الأنبياء في هذه المرحلة يجد التأكيد في المقام الأول على الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك والطغيان والدعوة إلى الصبر والثبات، وقد يتخلل ذلك بعض المبادئ الأساسية في التشريع والأحكام الفقهية- كما أسلفنا في التمهيد-، وتبعا لذلك يتضمن هذا المبحث مطلبين:

## المطلب الأول:

## الدعوة إلى التوحيد في ضوء القصص القرآني:

إن السياسة الدعوية في المرحلة المكية اقتضت الدعوة إلى الإصلاح العقدي والفكري، من حيث الدعوة إلى ترسيخ التوحيد ونبذ الشرك، والناظر في القصص القرآني في هذه المرحلة يرى بأن محاورها تتمركز بشكل عام حول الصراع الفكري بين الإيمان والكفر، والصراع بين التوحيد والشرك، ونأخذ على سبيل المثال: لمحات من قصة نبيين من أنبياء الله تعالى في القرآن الكريم، هما (إبراهيم وموسى) عليهما السلام.

**أولاً: قصة إبراهيم الخليل عليه السلام:**

إن قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في المرحلة المكية تسلط الضوء على جانبين من جوانب الدعوة المكية:

**الجانب الأول: إبطال معتقدات المشركين بالأدلة والبراهين العقلية.**

في هذه المرحلة –التي كان الصراع الفكري فيها على أشده، وكذلك مقارعة الأفكار الضالة والمنحرفة، وعبادة الأصنام من دون الله عز وجل-نجد قصة إبراهيم الخليل عليه السلام معروضة من جانب مقارعة الفكر المنحرف عن الصواب ومحاربة الباطل؛ فنرى من قصته عليه السلام مناظرته لقومه في مسألة عبادة الأصنام وبيان إبطال معتقداتهم بالحجج العقلية، وأن معبوداتهم حجارة لا تضر ولا تنفع، وأنهم في ضلالة وبعد شديد عن الحق، كما في قوله تعالى -في سورة الأنعام المكية-: [ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] [ الأنعام: ٧٤ ].

ونجد المفاصلة بين الحق والباطل وعدم اللقاء إلا في ساحة الصراع الفكري، وأن كل معبود من دون الله تعالى هو عدو له، قال تعالى: [ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ* قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ* قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ* أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ* قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ* قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ... ] [الشعراء: ٦٩- ٧٨ ] . وأمام هذا التقليد الأعمى، نرى إبراهيم- عليه السلام- يعلن عداوته لهم ولمعبوداتهم الباطلة، ويجاهرهم بأن عبادته إنما هي لله- تعالى- وحده. (طنطاوي، ١٩٩٨م، ج١٠/ص ٢٥٥).

وهذه المعاداة والبراءة وردت هنا مفصلة بينما وردت في السور المدنية بإيجاز شديد (كما في سورة التوبة (الآية: ١١٤)، وسورة الممتحنة (الآية: ٤)، وهاتان السورتان مدنيتان باتفاق بين العلماء-كما سبق في التمهيد).

تبدأ الأحداث بتصوير رشد إبراهيم عليه السلام، ورجاحة عقله، وقوة حجته وأسلوبه الحكيم في دعوة قومه وأبيه إلى عقيدة التوحيد، وقد عرض ذلك بالاعتماد على أسلوب الحوار بين إبراهيم وأبيه وقومه، فقد دعاهم إلى الإيمان، واستنكر عليهم عبادة الأصنام، وقد قدموا له حجة واهية في سبب عبادتهم لها، وهي أنهم يقلّدون آباءهم وأجدادهم في ذلك، وهذا يدلّ على جمود أذهانهم وعقولهم، لذلك ركّز إبراهيم في جوابه عليهم أن التقليد لا يكون في الضلال، ودعاهم إلى تفتيح عقولهم، ونبذ التقليد الأعمى وذلك بلفت حواسهم إلى الصور الكونية أمامهم في السماوات والأرض، ثم أعلن لهم أنه سيفعل شيئا ضد آلهتهم، ليوقظ عقولهم المتحجّرة (ينظر: الراغب، ٢٠٠١ م، ص٢٧٣) قال تعالى: [ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ] إلى قوله: [ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ] [الأنبياء: ٥١-٦٣]. أي: سحقا وقبحا لكم، ولما تعبدونه من أصنام متجاوزين بها عبادة الله- تعالى- عن جهل وسخف وطغيان.(أَفَلا تَعْقِلُونَ ما أنتم فيه) من ضلال واضح، فترجعون عنه إلى عبادة الواحد القهار. (طنطاوي، ١٩٩٨، ج٩/ص ٢٢٨).

إن مما استعمله نبي الله إبراهيم عليه السلام من أساليب الدعوة العملية هو المنهج الأمثل في قضية الصراع، وذلك عندما تدفع خصمك من مواقع الهجوم على فكرتك إلى مواقع الدفاع عن فكرته، فقد انتقل بهم خليل الله عليه السلام من مرتبة الاستنكار والهجوم ضد فكرة التوحيد، إلى مرتبة دفاعهم عن فكرة الشرك التي يلتزمونها، مما تسبب هذا التراجع منهم إلى الشعور بالضعف في داخلهم على أكثر من صعيد، وهذا مما أشار إليه قوله تعالى: [ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ] [الأنبياء: ٦٤-٦٥].

**الجانب الثاني: اطمئنان القلة المؤمنة بأن الله سينصرهم:**

بعد أن يئس قوم إبراهيم –عليه السلام-من محاربة أفكاره، والإجابة على حججه العقلية الراسخة، دبروا له مكيدة قتله، وذلك عن طريق إحراقه، كما قال تعالى-عنهم-: [ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ] [الأنبياء: ٦٨]. ولما عزموا على ذلك، وأخذوا ينفذون ما خططوا له، فألقوه في النار، إلا أن الله تعالى أراد أن يريهم آية عظيمة في حفظ خليله، فحيّبهم وجعل ذلك وصمة عار في جبينهم وسبباً في خسرانهم الذي لا مثيل له، كما يقول تعالى: [ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ] [الأنبياء: ٦٩-٧٠]. وذلك أن سنة الله تعالى أن يجعل العاقبة الحسنى للرسل وأتباعهم، كما يقول تعالى: [ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ] [غافر: ٥١].

وهذه رسالة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين في مكة بأن الله -لا شك- ينجيهم وينصرهم بل ويمكنهم في الأرض، وهذا الاطمئنان أحوج ما كان إليه رسول الله عليه الصلاة والسلام وصحابته في مكة! وما أحوجنا نحن إليه اليوم في عالمنا المليء بالتحديات!

**ثانياً: قصة موسى عليه السلام:**

إن قصة موسى عليه السلام هي أكثر القصص تكرارا في القرآن الكريم، في المرحلة المكية والمدنية أيضاً ؛ ولعل الحكمة في ورود قصة موسى مكررة وبأساليب مختلفة ترجع إلى جملة أمور منها:

١- وجود التشابه والتناسب الكبير بين صاحب الرسالتين، فالمتتبع لقصة موسى عليه السلام يجد بأنه قد مرّ بثلاث مراحل رئيسة خلال حياته، حيث تبدأ المرحلة الأولى بولادته وتنتهي ببعثته إلى فرعون وقومه، وهذه هي مرحلة التهيئة والاستعداد لتلقي الوحي، وحمل أعباء الدعوة، قال تعالى في سورة القصص –المكية-: [ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ...].إلى قوله تعالى: [ لَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ] [القصص: ٧-٢٩]، وأشير في سورة (طه) أيضاً إلى ولادته عليه السلام حتى بعثته بأسلوب يختلف بعض الشيء عما هنا، وذلك في الآية (٣٨) وما بعدها.

وتبدأ المرحلة الثانية من البعثة وتنتهي بالخروج من مصر وعبور البحر، وقد ورد ذكر هذه المرحلة في مواضع عدة من القرآن الكريم منها، قوله تعالى: [ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ. وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ... ].إلى قوله تعالى: [ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ] [الأعراف: ١٠٣-١٣٦]. فالسورة الكريمة تصرح في أول آية من قصة موسى بالهدف الذي سيقت من أجله وهو النظر والتدبر في عاقبة المفسدين. ثم بعد ذلك تحدثنا حديثا مستفيضا زاخرا بالعبر والعظات عما دار بين موسى وفرعون من محاورات ومجادلات انتهت بغرق فرعون وقومه (طنطاوي، ١٩٩٨م، ج ٥/ص ٣٣٤).

وتبدأ الثالثة بالخروج وتنتهي بنهاية حياته عليه السلام، قال تعالى: [ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ.... ]. [الأعراف: ١٣٧]. ففي هذه الآية بين-سبحانه- مظاهر فضله وكرمه على بنى إسرائيل بعد أن بين نهاية فرعون وآله، أي وأعطينا القوم الذين كانوا يستضعفون في مصر من فرعون وملئه بالاستعباد وقتل الأبناء، وسوء العذاب، أعطيناهم من طريق الاستخلاف- قبل أن يزيغوا ويضلوا- مشارق أرض الشام ومغاربها التي باركنا فيها بالخصوبة وسعة الأرزاق. (طنطاوي، ١٩٩٨م، ج ٥/ص ٣٦٢).

والمتأمل في السيرة النبوية الشريفة (كما عند: المباركفوري، د.ت، ص٦٤و١٥٨و٣٧٩) يرى بأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد مر بما يشبه هذه المراحل، مرحلة ما قبل البعثة، ومرحلة ما بعد البعثة وقبل الهجرة، ومرحلة ما بعد الهجرة، وفي تلك المراحل ولا سيما الأخيرتين منها تشابه كبير بين حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وبين كليم الله عليه السلام، وأما مرحلة ولادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلم يتعرض لها القرآن الكريم إلا بإجمال شديد، حيث هناك إشارات وجيزة إلى أنه صلى الله عليه وسلم كان يتيماً فآواه، وأنه كان عائلاً فأغناه، وأنه لم يكن يدري ما الكتاب ولا الإيمان فهداه الله تعالى، فما مرّ به الرسول صلى الله عليه وسلم من ضيق العيش واليتم وفقد الوالدين والأحبة كان تهيئة له نفسياً وجسدياً لحمل رسالة عظيمة، وأن الله تعالى هو وحده هو الذي يتكفل بحفظه ورعايته، كما هو الحال بالنسبة لسيدنا موسى عليه السلام.

٢- وجود التشابه والتناسب بين الدعوتين، حيث كان الصراع مع الحكام الطغاة ومع الملأ من قريش، والصراع مع أنظمة الحكم القائمة، وحيث الكفاح والنضال من أجل تقرير توحيد الله تعالى، وإقامة العدل بين الناس؛ فنجد قصة موسى عليه السلام مع فرعون وصراعه الفكري معه، وكفاحه السياسي ضده، ونجد القصة مذكورة بتفاصيلها المناسبة من ولادة موسى، إلى حياته في قصر فرعون، إلى هروبه من مصر إلى مدين، ثم عودته إلى مصر ونقاشاته مع فرعون وملئه وتحديه للسحرة وإيمانهم به، ثم هلاك فرعون...كل ذلك نجده مفصلاً في المرحلة المكية، وقد تكررت في مواضع عدة من السور المكية، منها: (الأعراف، ويونس، والكهف، وطه، والشعراء، والقصص) مع اختلاف في الأسلوب والطول والقصر وطريقة العرض.

٣- ومن أسباب تكرارها شمولية البلاء الذي كان لموسى وقومه، فبما أن الرسالة المحمدية رسالة خاتمة، فالناس يحتاجون للشمولية في المعالجة، فموسى ابتلي نفسيًا وجسديًا واقتصاديًا وسياسيًا، والرسول صلى الله عليه وسلم كل ما مر ببلاء في دعوته سيجد له مماثلًا في قصة موسى، فالشمولية في المعالجة تكون بشمولية البلاء ومحمد صلى الله عليه وسلم كان أكثر الأنبياء بلاء، كموسى (عليه السلام)، وهذه رسالة ضمنية لصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به بأن النصر حليفهم لا محالة، وأن الله سينجيهم من المشركين والطغاة كما نجى موسى وقومه من فرعون وملئه. (ينظر: الحكيم، ١٤٢٨هـ، ص ٤١٠و ٤٢٠، والمحارب، صيد الفوائد: http://saaid.org/twitter/273.htm)

## المطلب الثاني

## الدعوة إلى الصبر والثبات بذكر الأمثلة والشواهد

أكمل الخلق صبرًا هم الرسل - عليهم الصلاة والسلام - على الإطلاق؛ لأنهم الذين يقومون أساسًا بالدعوة ويجابهون الأمم بالتغيير، وهم حين يقومون بذلك يكون الواحد منهم فردًا في مواجهة أمة تعانده وتكذّبه وتعاديه. (النمر-موقع الألوكة، ٢٠٢٣).

ولهذا يدعو القرآن الكريم خصوصا في المرحلة المكية- إلى الصبر والثبات على الدعوة، اقتداء بالرسل الكرام عليهم السلام، عندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يعانون أنواع العذاب من قبل المشركين- قال تعالى آمرًا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر: [ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ] [الأحقاف: ٣٥].

قال السعدي: "أمر الله تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له، وأن لا يزال داعيًا لهم إلى الله، وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين سادات الخلق أولي العزائم والهمم العالية، الذين عظم صبرهم، وتمَّ يقينهم، فهم أحقُّ الخلق بالأسوة بهم، والقفو لآثارهم، والاهتداء بمنارهم؟". (السعدي، ٢٠٠٠م، ص٧٨٣).

فلما حزن النبي صلى الله عليه وسلم على تصدي قومه له وبقائهم على كفرهم حتى كاد يزهق نفسه حزناً وتألماً أن لم يكونوا قد أسلموا وتابعوا دينه، ذكَّره الله بصبر أولي العزم من الرسل، قال تعالى في سورة الكهف المكية ذاكرا حال الرسول الكريم: [ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا] [الكهف: ٦]، وأرشده إلى التحلي بالصبر وعدم التحزن على المشركين المعاندين، قال تعالى: [ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ] [النحل: ١٢٧].

ونأخذ من هذا الجانب قصة نبيين من أنبياء الله تعالى في القرآن الكريم:

### أولا: قصة نبي الله يونس عليه السلام:

نرى القرآن الكريم يُذَكِّر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بقصة نبي الله يونس عليه السلام، حيث أرسل إلى مئة ألف أو يزيدون، فلم يلق من قومه إلا الجحود، فضاق بهم ذرعا، ثم أوعدهم بالعذاب إن لم يؤمنوا، فلما طال ذلك عليه من أمرهم، خرج من بين أظهرهم مغاضباً، فابتلاه الله عز وجل بأن التقمه الحوت، قال الله تعالى: [ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ] [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وهكذا يذكر الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقصة يونس صاحب الحوت ويدعوه إلى أن يصبر ولا يتخلى عن قومه قال تعالى: [فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ] [القلم: ٤٨]. (ينظر: البيان، www.albayan.ae ٢٠٠٦م).

الظاهر أن الغرض من ذكر النبي يونس عليه السلام هنا هو تسلية نبينا صلى الله عليه وسلم فيما يلقاه من ثقل الرسالة؛ بأن ذلك قد أثقل الرسل من قبله، فظهرت مرتبة النبي صلى الله عليه وسلم في صبره على ذلك وعدم تذمُّره، ولإعلام جميع الناس بأنه مأمور من الله تعالى بمداومة الدعوة للدين؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: [ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ] [القلم: ٤٨] أي: لا تجازهم بصنيعهم ولا تستعجل عليهم، بل اصبر لحكم ربك بما حكم عليهم من العذاب.

قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله: "إن حكم الله تعالى في الرسل ثلاث: أحدها: ألا يدعوا على قومهم بالهلاك، وإن اشتد أذاهم من ناحيتهم حتى يؤذن لهم، والثاني: ألا يفارقوا قومهم وإن اشتد بهم البلاء إلا بإذن الله تعالى، والثالث: ألا يقصروا في التبليغ وإن خافوا على أنفسهم. ثم من وراء هذا عليهم أمران: أحدهما: أنهم أمروا ألا يغضبوا إلا لله تعالى، والثاني: ألا يحزنوا لمكان أنفسهم إذا آذاهم قومهم، بل يحزنوا لمكان أُولَئِكَ القوم إشفاقًا عليهم منه ورحمة بما يحل عليهم من العذاب بتكذيبهم الرسل، فهذا هو حكم ربه". (الماتريدي، ٢٠٠٥م، ج١٠/ ص ١٥٧).

فهذه هي التجربة التي مرَّ بها صاحب الحوت، يذكِّر الله بها رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم في موقف العَنَت والتكذيب، بعد ما أخلاه من المعركة كما هي الحقيقة، وأمره بتركها له يتولاها كما يريد، وَقْتَما يريد، وكلَّفه الصبر لحُكم الله وقضائه في تحديد الموعد وفي مشقات الطريق، حتى يحين الموعد المضروب! إن مشقة الدعوة الحقيقية هي مشقة الصبر لحُكم الله، حتى يأتي موعده. (قطب، ١٤١٢هـ، ج٦/ص ٣٦٧١).

إلا أنه صلى الله عليه وسلم لكمال خلقه وعلو شأنه وشدة تواضعه نهى أصحابه أن يخيروه على بقية الأنبياء ولا سيما يونس عليه السلام، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: " لا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى " . (أخرجه البخاري في صحيحه (١٥٣/٤-برقم ٣٣٩٥)، ومسلم في صحيحه (١٨٤٦/٤-برقم ٢٣٧٧)، وفي بعض الروايات " لَا تخيروني على الْأَنْبِيَاء ..." ولا تفضلوني على الأنبياء". ينظر: الشاطبي، ١٩٩٢م، ج ١/ص٣١٦).

**ثانيا: قصة نبي الله أيوب (عليه السلام):**

وقد ابتلي أيوب عليه السلام بلاء شديداً في أهله وبدنه وماله، ولكنه كان مثالاً للعبودية الحقة لله تعالى فصبر على ذلك، حتى أصبح يضرب به المثل على الأذى فيقال: (صبر كصبر أيوب)، وقد أثنى الله تبارك وتعالى عليه بقوله: [إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ] [ص: ٤٤].

وبلاء سيدنا أيوب عليه السلام لم يكن في جسده فحسب بل شمل المال والأهل والولد. ولهذا قال الله تعالى: [ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ].[الأنبياء: ٨٣-٨٤].

وقد أمر الله تعالى سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يصبر على قومه الذين أعلنوا عداء دعوته وعملوا بشتى الوسائل لكي يحولوا دون انتشارها، وكان الله عز وجل يُصَبِّر حبيبه محمداً صلى الله عليه وسلم ويسليه ويضرب له الأمثال من قصص الأنبياء الذين جاؤوا قبله، ومنهم نبي الله أيوب عليه السلام، حيث ذكر في المرحلة المكية صبره والثناء على هذا الصبر، قال تعالى: [ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ] [ص: ٤١-٤٤]، وهذا يناسب مرحلة الصراع الفكري والكفاح السياسي لما تتطلبه المرحلة من صبر وثبات وعزيمة وعدم جزع؛ ولكننا لا نجد أي تفاصيل عن قصة أيوب عليه السلام في المرحلة المدنية. (ينظر: البيان، www.albayan.ae ٢٠٠٦م).

## المبحث الثاني:

## القضايا الخاصة بمرحلة المدينة (مرحلة ما بعد تأسيس الدولة)

دخل النبي المدينة (يثرب) في (١٢ ربيع الأول سنة ١ هـ الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ٦٢٢ م) بعد أن أقام ثلاث عشرة سنة بعد البعثة في مكة، فأصبحت المدينة بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها، معقل الإسلام ومشعل الهداية ومنطلق الدعوة إلى الله، وعندما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان يسكنها المهاجرون والأنصار واليهود، فكان على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبدأ في وضع الأسس التي تجعل من تلك الجماعات مجتمعًا قويًا متحدًا على أسس إسلامية ومبادئ دينية؛ فقام الرسول بالخطوات الآتية تحقيقًا لهذه الغاية (ينظر: ابن هشام، ١٩٥٥م، ج١/ص ٥٩٠، والبوطي، ١٤٢٦هـ، ص ١٣٥ و١٤٢، والمباركفوري، د.ت، ص ١٦٦ وما بعدها):

**أولاً : بناء المسجد – أي صلة الأمة بالله عز وجل.**

**ثانيًا: المؤاخاة – أي صلة الأمة المسلمة بعضها بالبعض الآخر.**

**ثالثًا: المعاهدة بين المسلمين و اليهود – أي صلة الأمة بالأجانب عنها ممن لا يدينون بدينها.**

وفي هذه المرحلة حيث العلاقات البشرية نجد القصص القرآنية معروضة بما يناسبها، وبشكل عام ركزت القصص القرآنية في هذه المرحلة على جوانب عدة: منها: موضوع الاستخلاف والتمكين في الأرض، ومنها: العلاقات الاجتماعية وذكر الجوانب الأكثر بروزاً في المجتمع في أثناء العمل على تغييره، ومنها: النظام الداخلي للدولة ومسألة إقامة الحدود، ومنها: العلاقات الخارجية، وتبعا لذلك يتضمن المبحث أربعة مطالب:

## المطلب الأول

## الاستخلاف والتمكين في الأرض:

يحتوي هذا المطلب على عدة قضايا على النحو الآتي:

أولاً: تنوعت أقوال العلماء واختلفت تفاسير المفسرين في تحديد مدلول الخليفة والاستخلاف، ولعل ما أورده الفخر الرازي رحمه الله في تفسيره (١٤٢٠هـ، جج٢/ص ٣٨٩) هو الأقرب والأولى حيث قال: "إنما سماه الله خليفة، لأنه يخلف الله في الحكم بين المكلفين من خلقه، وهو المروي عن ابن مسعود وابن عباس والسدي" وهذا الرأي يؤيده قوله تعالى عن داود عليه السلام عندما جعله خليفة: [ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ] [ص: ٢٦]. (وردت في القرآن الكريم كلمة (خليفة) –مفردا-مرتين: مرة في قصة آدم، ومرة ثانية في قصة داود عليهما السلام، وهناك فرق بين استخلاف آدم واستخلاف داود عليهما السلام، فآدم عليه السلام خليفة في الأرض بمفهوم الخلافة العام: [ إني جاعل في الأرض خليفة] [البقرة: ٣٠]. وهي الخلافة الكونية، القائمة على تعمير الأرض وإصلاحها، والانتفاع بما فيها من خيرات ومنافع سخرها الله للانسان، واستخلاف آدم على الأرض هو استخلاف الإنسان باعتباره إنساناً.

أما داود عليه السلام فهو خليفة بالمعنى الخاص للخلافة: [ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحق] [ص: ٢٦]، وهي الخلافة التشريعية خلافة إقامة الدولة، وإيجاد حكم، وتطبيق الشريعة الربانية، وهي ثمرة للخلافة الكونية العامة، ولهذا قال لداود: [ فاحكم بين الناس بالحق] فداود هو أول نبي جمع بين النبوة والملك والرسالة والخلافة عليه الصلاة والسلام. -ينظر: داود بين النبوة والخلافة. assabeel.net/290519. –

وورث سليمان داود عليهما السلام (كما في سورة النمل: ٢٦) -الملك والخلافة والنبوة-.

ولعلّ في إيراد قصة استخلاف داود عليه السلام في سورة (ص) المكية، أن استخلافه ورد إثر ذكر القصة التي ظن داود عليه السلام بعد الحكم أنه فتن، كما ورد بعد ذلك ذكر فتنة ابنه سليمان عليه السلام وكذلك أيوب عليه السلام والأنبياء من بعده، وقد بدئت تلك القصص بقوله: [ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ... ] [ص:١٧]، أي أن قصة داود عليه السلام سيقت أصلاً للاقتداء به في الصبر، وأن مسألة الاستخلاف جاءت تأكيداً للحكم بالحق، بعد أن قصت السورة قصة الخصمين، وظن داود عليه أنه فتن بسبب ذلك فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب. والله أعلم).

فالقصد من الاستخلاف في القرآن الكريم هو تلك الإرادة والإمكانية المصاحبة لحرية الاختيار التي منحها الله تعالى لبني آدم على وجه التخصيص، ليصنعوا بها الحياة في كل مجالاتها وفق مراد الله تعالى.

وبما أن مرحلة المدينة هي مرحلة تأسيس الدولة والتمكين في الأرض، جاء التركيز على موضوع الاستخلاف في الأرض، وبأن (البشر هم المسؤولون عن الأرض)، فالأرض ملك لله عز وجل، وهو خلقها، وقد سنّ لبني البشر وشرع لهم الدين الذي أمرهم باتباعه والسير على وفقه، فلا بد أن يكون في

الأرض من هو مسؤول عنها، وقد استخلف الله تعالى الكثير من الأمم فمنهم من فشل في مهمة الاستخلاف وأخفق، ومنهم من وُفِق وأفلح، ونجد تفاصيل قصة استخلاف آدم عليه السلام معروضة في هذه المرحلة، وتحديدا في سورة البقرة، التي هي أول سور المصحف ترتيباً بعد فاتحة الكتاب، وهي أول ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة مع بداية تأسيس الدولة الإسلامية وتكوينها، وأول قصة ذكرت فيها هي قصة استخلاف البشر في الأرض، في قوله تعالى: [ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا .... ] [البقرة: ٣٠-٣٣]. (ينظر: الكلم الطيب، https://kalemtayeb.com/safahat/item/8930)

ثانياً: قد اشتملت هذه الآيات الكريمات على وظيفة البشر وطبيعته وقابلياته في الأرض، كما احتوت ولمّحت إلى المعالم الأساسية لهذا الاستخلاف، إذ:

١- إن هذه الآيات تعدّ مرتكزًا رئيسًا لقانون الاستخلاف، فالله تعالى كلف آدم عليه السلام بمهمة خلافته في الأرض، وهو تكليف مستمر فيمن اصطفاهم الله من بني آدم إلى قيام الساعة، ليدرك الإنسان أنه ليس هملًا فارغًا، ولا عبئًا زائدًا، ولا متحيرًا تائهًا، ولكنه قيمة كبرى في هذا الكون، وصاحب مقام كريم في الوجود بأسره، ولو أن الإنسان أدرك سر وجوده لانطلق لتحقيق مراد ربه على بصيرة من أمره، وابتغاء وجه خالقه وسيده. قال تعالى: [ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً].

٢-انها محورية تعني أنه إذا أردت أن تكون مسؤولا عن الأرض يجب أن يكون عندك علم، لذا علّم الله تعالى الأسماء كلها، ولا يبعد أن يكون علّمه أدوات وأسباب الاستخلاف في الأرض: [ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ] [البقرة:٢٢]، وهذا إرشاد لأمة الإسلام إن أرادوا أن يكونوا مسؤولين عن الأرض فلا بدّ لهم من العلم مع العبادة، فكأن تجربة سيدنا آدم عليه السلام هي تجربة تعليمية للبشرية من أن عمارة الأرض وإدارتها وفق مراد الله هي مسؤولية بني آدم .

٣-الإشارة إلى تأهيل الأمة الإسلاميّة لمرحلة القيادة والخلافة الإسلامية، والتمكين للمؤمنين بالإعلان عن عبوديّتهم لله وحده لا شريك له في حُكمه ولا في أمره، في حرية كاملة دون خوف من الطُّغاة أو الظالمين، أو وجَلٍ من أعداء الله المتربّصين والمنافقين.

لذا عندما نقرأ القرآن الكريم ولا سيما الآيات التي تضمنت قضية الاستخلاف، يجب علينا أن نستشعر مسؤولية الخلافة في الأرض، فكان لزاماً على المسلمين أن يعرفوا ماذا يفعلون ومم يحذرون، وذلك في ضوء ذكر قصص الأنبياء بدءا بقصة البشر الأول (آدم عليه السلام)، ومروراً بالأنبياء من بعده، وختاماً بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ولا يتأتى التمكين للمسلمين في الأرض إلا بأن يَملِكوا زمام قيادة العالم، التي لا تتحقق إلا برجوع المسلمين إلى دينهم وإصلاح نفوسهم وما بينهم، والجهاد في سبيله وحده لإعلاء كلمة الله، والأخذ بالسنن والقوانين التي أودعها الله تعالى في هذا الكون الفسيح، والتي بها يسخر وينقاد، وبذلك يوفقهم الله تعالى لفتح قلوب العالمين بنور هذا الدين الحق، والحكم بين الناس بشريعة الله العدل، ويقومو بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيرفعوا عن العباد ظلْم الظالمين، ويقومون مَا اعوج من أَمرهم، وبذلك يملؤون الأرض رخاء وأمنا وعدلاً، كما ملئت ظلما وجوراً وفساداً.

وفي ضوء القصص القرآني يتبين أن استخلاف الإنسان في الأرض ليس مطلقا، بل لا بد أن يكون وفق مراد الله تعالى وسننه، الذي ينتج عنه إصلاح الأرض وعمارتها، لا إفسادها وخرابها، ولذلك شاءت الأقدار الإلهية أن من أفسد في ما استخلف فيه، استبدل الله بهم قوما آخرين يصلحون ما أفسده غيرهم، فمن فرط في مهمة الاستخلاف حقت عليه سنة الاستبدال. (ينظر: الفيومي: موقع: الألوكة، ٢٠١٣/٤/١٨ م).

ثالثاً: الإمامة في القرآن الكريم:

قد عهد الله تَعَالَى بالإمامة العامة لنبيه وخليله إبراهيم وللعادلين من ذُرِيَّته غير الظالمين، قال تعالى: [ وإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا] [البقرة: ١٢٤]. وجعل إبراهيم عليه السلام إماماً هو جعله قدوة ومثالاً يحتذى به، إذ الأصل في الإمام أن يكون صالحا في نفسه، قدوة لغيره، كما قال القرطبي: أي «جعلناك إماما للناس يأتمون بك في الخصال، ويقتدي بك الصالحون، فَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِمَامًا لِأَهْلِ طَاعَتِهِ" (القرطبي، ١٩٦٤م، ج٢/ص ١٠٧، وينظر: رشيد رضا، ١٩٩٠، ج١/ص ٣٧٥، والصلابي، ٢٠٠١م، ص ٥٢٧).

ولما أرادها لذريته: [ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي] قال تعالى: [ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] [البقرة: ١٢٤]. تنبيها إلى أن أمر الإمامة في الارض ليس فيه محاباة، فالذي يسير على منهج الله وطاعته يبقى مسؤولا عن الأرض، والذي يتخلى عن هذا المنهج لا ينال عهد الله تعالى.

ومما ينبغي أن يفهم من الآية –ومن تفسير العلماء لها- أن الإمامة –وكذلك التمكين-ليست معناها النصر والظفر القريب على الأعداء، بل الالتزام بشرع الله تعالى والسير وفق هديه، والجهاد في سبيله حتى الوفاة، هو أكبر نصر، وقد بيّن سيد قطب ذلك بقوله: "والناس كذلك يقصرون معنى النصر على صورة معينة معهودة لهم، قريبة الرؤية لأعينهم، ولكن صور النصر شتى، وقد يلتبس بعضها بصور الهزيمة عند النظرة القصيرة.. إبراهيم عليه السلام وهو يلقى في النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة إليها..أكان في موقف نصر أم في موقف هزيمة؟ ما من شك -في منطق العقيدة - أنه كان في قمة النصر وهو يلقى في النار، كما أنه انتصر مرة أخرى وهو ينجو من النار، هذه صورة وتلك صورة وهما في الظاهر بعيد من بعيد.. فأما في الحقيقة قريب من قريب... وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام كما نصرها باستشهاده". (قطب، ١٤١٢هـ، ج٣٠٨٦/٥، وينظر: الصلابي، ٢٠٠١، ص ٥٢٧).

رابعاً: تفريق القرآن بين الاستخلاف والنجاة من بطش الجبارين:

في قصة بني اسرائيل يظهر الفرق جليا بين المرحلتين: مرحلة ما قبل النجاة من فرعون حيث وعد الله المستضعفين بأن يجعلهم أئمة ويرثهم الأرض قال تعالى: [ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ] [القصص: ٥-٦] إلى أن قال في آخر القصة: [ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ] [القصص: ٤٠]، وقال في سورة يونس: [ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ] [يونس: ٩٠].

ففي هذه المرحلة نصر الله بني اسرائيل على عدوهم دون أن يطلب منهم العدة والمواجهة.

أما في مرحلة المدينة بعد النجاة والهجرة، نجد أن القرآن الكريم يذكر ما مَنَّ الله به على بني اسرائيل بالنجاة من بطش فرعون وجنوده، أخذ منهم الميثاق بأن معية الله تعالى ترافقهم متى ما نصروا نبيهم وعزروه، وهذا من شروط الاستخلاف والتمكين في الأرض، قال تعالى في سورة المائدة: [وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ] [المائدة: ١٢].

فلم يمكنهم من الاستخلاف في الأراضي المقدسة بدون التضحية كما نجاهم من فرعون، بل طلب منهم مواجهة العدو، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: [ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ، يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ] [المائدة: ٢٠-٢١].

فنقضوا العهد وعارضوا موسى عليه السلام وواجهوه بأبشع أسلوب، قال تعالى في حق ذلك: [ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ، قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ] [المائدة: ٢٢-٢٥].

فلما لم يفوا بوعدهم ونقضوا العهد وتماطلوا وتهاونوا جاءهم الرد من الله تعالى وعاقبهم بحرمان النصر والتمكين والتيه أربعين سنة، قال تعالى: [قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ] [المائدة: ٢٦]، وهذا سنة الله في كل ظالم. (ينظر: الشحود، ٢٠١٢، ٦٩).

ومن اللطائف أن سورة المائدة هي من أواخر ما نزل من القرآن الكريم، (ينظر: القرطبي، ١٩٦٤، مج٦/ص ٣١) وقد وردت فيها هذه الواقعة، وهي من أواخر ما جرى من الحوار والمجادلة بين موسى عليه السلام وبين بني إسرائيل، وأن الله تعالى لم يمكنهم من دخول الأرض المقدسة إلا بعد وفاة موسى -عليه السلام- على يد نبي الله داود عليه السلام بعدما قتلَ جالوتَ كما جرى ذكر ذلك في نهاية الجزء الثاني من سورة البقرة.

ومن الملاحظ أيضاً أن أكثر بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر ونجاتهم من بطش فرعون وأعوانه، أخذوا يعترضون على طريقة عيشهم، وبدأوا ينحرفون عن المسار الصحيح والصراط المستقيم في عبادة الله تعالى واتباع شرعه الحنيف في الالتزام والوقوف عند حدوده، وكأن في هذا إشارة وتنبيهاً لنبينا صلى الله عليه وسلم، بأن اليهود الذين سيواجههم ويحتكي بهم في أيامه القابلة –أي بعد الهجرة-قد يكونون أشد الناس عداوة له، -كما هو حال مشركي مكة-، وأنهم يعاندونه ويعارضونه ويعترضون عليه، لأنهم إذا كانوا كذلك مع سيدنا موسى عليه السلام الذي نجاهم الله -من فرعون وجنوده-، فكيف بنبي جديد يزعزع كيانهم ويكشف خبثهم وشرهم!

بينما أتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانوا مضرب المثل في حسن امتثالهم، وشدة اقتدائهم وتفانيهم في الدفاع عن نبيهم، كما حدث عندما أخبرهم بذهابهم لغزوة بدر وأراد أن يعرف موقفهم، قالوا له كلمتهم المشهورة التي أظهرت معدنهم الأصيل وإخلاصهم الصادق (ابن هشام، ١٩٥٥، ج١/ص ٦١٥)، وقد أحسن سيد قطب تصوير ذلك عندما قال: "والأرجح أنه حرمها على هذا الجيل منهم حتى تنبت نابتة جديدة وحتى ينشأ ... جيل يعتبر بالدرس، وينشأ في خشونة الصحراء... ولقد وعى المسلمون هذا الدرس... فحين واجهوا الشدة وهم قلة أمام نفير قريش في غزوة بدر، قالوا لنبيهم- صلى الله عليه وسلم- إذن لا نقول لك يا رسول الله: ما قاله بنو إسرائيل لنبيهم: «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ» لكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا فإننا معكما مقاتلون... وكانت هذه بعض آثار المنهج القرآني في التربية بالقصص عامة وبعض جوانب حكمة الله في تفصيل قصة بني إسرائيل.." (قطب، ١٤١٢هـ، ج٢/ص ٨٧١).

ولعل في إيراد وتكرار قصص بني إسرائيل في العهد المدني أيضاً تحذيراً لمن كانوا في عهده (صلى الله عليه وسلم) أن لا يكرروا صنيع أسلافهم فيتعرضوا لمقت الله وغضبه أيضاً، كما أن فيه تنبيهاً للمؤمنين بأن يأخذوا حِذْرَهم منهم، وكذا أخذ العبرة من سيرتهم، بأن لا يرجعوا بعد هدى الله لهم إلى الاقتتال والتنازع والتنافس، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير.

وقد استعمل القرآن الكريم لمعنى الاستخلاف أحيانا لفظ الوراثة: [ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ] [الأنبياء: ١٠٤] فبمقتضى هذا القانون أورث الله أقواما صالحين أرض أقوام مفسدين، وتلك سنة كونية ربانية لا تتخلف ولا تختلف، وقد قص علينا القرآن الكريم صورا لذلك، منها: قوله تعالى في حق بني اسرائيل: [ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ] [الأعراف: ١٣٦-١٣٧].

فهذا بنو إسرائيل قد أورثهم الله الأرض ومكنهم فيها طالما التزموا بحكم الله وعهده، فلما نقضوا العهد أورث الله المؤمنين أرضهم وديارهم، قال تعالى: [ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا] [الأحزاب: ٢٧]

ولا شك أن ورود مفهوم الاستخلاف والخلافة في سياق القصص القرآني، وخاصة في قصص الأنبياء مع أقوامهم -إشارة إلى أهمية الاعتبار من تلك القصص، وأن الخلافة والاستخلاف مهما طال أمدهما فهما إلى زوال إن لم يكن العمل بمقتضاها: [ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُواْ ءالاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ] [الأعراف: ٧٣].

ويفهم من هذا التحذير أن أهم خطر يهدد حياة الإنسان في الأرض التي استُخلِف فيها هو الفساد، ولذلك لم يكن عبثا قول الملائكة لرب العزة حين أعلمهم باستخلافه الإنسان في الأرض: [ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ] [البقرة: ٢٩].

وخلاصة القول أن موضوع استخلاف الإنسان ورد بتفصيل في السور المدنية، و لاسيما في البقرة، حيث يمكننا أن نستخلص منها ثلاث تجارب للاستخلاف في الأرض، التجربة الأولى التي تمثل في آدم عليه السلام وهي تجربة تمهيدية، والتجربة الثانية تجربة ناجحة حيث تمثل في إبراهيم عليه السلام،

وكذلك تجارب كل الأنبياء هي تجارب مثالية فريدة مهما كان نفوذهم وعدد أتباعهم، والتجربة الثالثة تتمثل في بني إسرائيل وهي تجربة فاشلة حيث نقضوا العهد وقتلوا الأنبياء بعد أن نجاهم الله تعالى من بطش فرعون وطغيانه.

فالاستخلاف تكليف رباني، فمن قصَّر في إقامته فقد استجلب لنفسه عقوبة الحرمان، ومن لم يبذل جهده سعيًا لتحقيق الاستخلاف فقد بذل جهده لتجري عليه سنة الاستبدال.

## المطلب الثاني

## النظام الداخلي للدولة:

مما يلاحظ في مرحلة تأسيس الدولة أنه جاء التأكيد على العلاقات الاجتماعية، وذكرِ الجوانب الأكثر بروزاً في المجتمع أثناء العمل على تغييره، وتركيزِ الطرح والنقاش في الزاوية الهامة؛ أي على القضايا المصيرية في المجتمع، وعلى الرغم من أن دعوة جميع الأنبياء كانت إلى التوحيد، ونبذ الأوثان وكل ما اتخذ معبوداً من دون الله تعالى، إلا أن القرآن الكريم ذكر لنا الجانب الأبرز من قصص الأنبياء والمشكلة الظاهرة الواضحة، ليعلمنا أنه على حامل الدعوة أن ينظر إلى المجتمع وما فيه من مشاكل جوهرية، وما فيه من قضايا هامة، وما فيه من أفكار هدامة... ليقف عندها معالجاً لها من زاوية العقيدة، وليبين حكم الله فيها؛ ومن هذا المنطلق ركز القرآن الكريم في هذه المرحلة –إلى جانب اهتمامه البالغ بالعقيدة- على الترتيب الداخلي للدولة سواء أكان ذلك بأمر مباشر أو في ضوء القصص المذكورة في القرآن الكريم، وذلك أن الترتيب الداخلي للدولة يحتاج إلى مؤسسة عظيمة تقوم بتنظيم العلاقات الداخلية والاجتماعية، وتبعا لذلك ينقسم هذا المطلب على النحو الآتي:

أولاً: بناء مؤسسة الدعوة والتربية (المسجد):

إذا جئنا إلى قصة إبراهيم عليه السلام في مرحلة المدينة بعد إقامة الدولة الإسلامية فإننا لو نقرأ بتمعن ما هو المذكور فيها، وما هي المحاور التي تم التطرق إليها؟ لرأينا من بينها قصة بناء الكعبة المشرفة، فقد بوأ الله لإبراهيم مكان البيت وأمره ببنائه، ونفّذ إبراهيم أمر ربه، فأرسى مع إسماعيل أساسات البيت، قال تعالى: [ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ] [الحج: ٢٦].

وبعد ذلك قاما برفع قواعده قال تعالى: [ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] [البقرة: ١٢٧].

وهذه إشارة لطيفة إلى أن المرحلة الجديدة تحتاج إلى مؤسسة دينية لتقام فيها الشعائر الدينية، وتكون مرجعا ومقرا لتجمع المجتمع الإسلامي، وموضعا لإصدار القرارات للدولة، فضلاً من تضمن الآية الإشارة إلى أن عمارة البيت وإمامته ترجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأمته.

**ثانياً: العلاقات الداخلية: (الترتيب الداخلي للمجتمع بالمؤاخاة):**

من القضايا الأساسية للمجتمع الإسلامي وللدولة مسألة المؤاخاة وتوطئة العلاقات بين جميع أفراد المجتمع الإسلامي، لذا جاء التأكيد على هذه المسألة في مرحلة المدينة، وذلك على طريقتين:

**الطريقة الأولى:** لو اتبعنا الآيات القرآنية في هذه المرحلة لاتضح لنا الأمر جليا بالحفاظ على رابطة الوحدة والأخوة وذلك في مواضع عدة، وذلك أن الله تعالى كما منَّ على المؤمنين ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، في قوله: [ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ] [آل عمران: ١٦٤] ، منّ عليهم بالهداية للإيمان في قوله: [ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ] [الحجرات: ١٧] كذا منّ عليهم بمنة الأخوة والوحدة الايمانية، وذلك في قوله تعالى:

[ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] [آل عمران: ١٠٣].

وذلك أن هذه الآية وما يليها نزلت مثة على الأنصار، حيث كان بين الأوس والخزرج عداوةٌ بسبب الحروب الطاحنة بينهم، إذ تطاولتِ العداوةُ والحربُ بينهم مئةً وعشرين سنةً إلى أن أطفأ الله عزَّ وجلَّ ذلك بالإسلام، فبدَّل ذلك بالأُلفة والمحبة بسببِ اتّباعهم للنبيّ - صلى الله عليه وسلم - وانتقالِه إليهم (الحنبلي، ٢٠٠٩م، ج٢/ص٦).

**الطريقة الثانية:** التحذير من التفرقة والعداوة والنزاع وذلك في ضوء ذكر قصص الأمم الغابرة، منها:

١- قصة ابني آدم عليه السلام قال الله تعالى: [ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ] [المائدة: ٢٧-٣٠].

وقصة ( ابني آدم ) تكشف عن طبيعة الجريمة وبواعثها في النفس البشرية؛ كما تكشف عن بشاعة الجريمة وفجورها وضرورة الوقوف في وجهها والعقاب لفاعلها؛ ومقاومة البواعث التي تحرك النفس للإقدام عليها، ومنها الحسد وبيان سوء عاقبته وآثاره الوخيمة، وقد رأينا كيف قتل الأخ أخاه بغياً وعدواناً وحسداً له لما وهبه الله وأعطاه؟ وكيف قضى الحسد الخبيث والحقد الكائن في النفس الخبيثة على رابطة الأخوة ووشيجة الحب التي تجمع بين الأخوين! وكيف أدى هذا الدآء الفاسد في النفس الإنسانية إلى إراقة وإسالة الدمآء الذكية!

٢- في ضوء الإشارة إلى حال الأمم السابقة كيف افترقت واختلفت في أمر دينها ونهانا من أن نكون مثلهم، منها: قصة بني اسرائيل حيث قال تعالى: [ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] [آل عمران: ١٠٥] بعد أن أمر بالاعتصام والوحدة، أكد مرة أخرى على التحذير من النزاع والتشتت وذلك لخطورتها.

قال ابن عباس رضي الله عنه: "هم الأمم السابقة التي افترقت في الدين". (أبو حيان، ١٤٢٠هـ، ج٣/ص ٢٩١).

والأمر في هذه الآيات بالاعتصام والحفاظ على الوحدة ليس مقصورا عليهم، بل هو لجميع المؤمنين في جميع العصور، كما بيّن العواقب الوخيمة المخيفة للنزاع في سورة الأنفال بقوله: [ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ] [الأنفال: ٤٦].

ففي ضوء هذا العرض ندرك بأن سياسة تنظيم المجتمع الإسلامي باب عظيم في القرآن الكريم، والقصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها، وقد أكدت هذه الأخوة الإيمانية، وأشير إلى ما يخرمها، في قوله تعالى: [ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ] [الحجرات: ١٠]. (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج١/ص ٤٠).

فمن أجل القضاء على هذا الداء العضال قام سيد الخلق ورسول الحق صلى الله عليه وسلم بسد نوافذ هذه الثغرة، فكان من أوائل ما قام به بُعيد وصوله إلى المدينة المنورة مسألة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار من جانب، وبين الأوس والخزرج من جانب آخر، واستطاع بذلك ترتيب المجتمع الإسلامي وتنظيمه، والقضاء على أكبر خطر يهدد كيان الدولة الجديدة. (البوطي، ١٤٢٦هـ، ص١٤٨)

## المطلب الثالث

## التحذير من غدر اليهود

في هذه المرحلة جاء التحذير من غدر اليهود، وجاء التنبيه على أن اليهود ظالمون باغون عادون، وقد أشار القران الكريم إلى غدر اليهود ونقضهم العهد في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، منها على سبيل المثال: قوله تعالى: [ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ] [البقرة: ٩١].

ومنها قوله تعالى: [ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَاتٍۭ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا الْفَاسِقُونَ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُون أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] [البقرة: ٩٨-١٠٠].

إن خلف العهد ونقض الميثاق وفسخ الاتفاق، إنما هو ديدن اليهود ودأبهم ، قال ابن جريج: (لم يكن في الأرض عهد يعاهدون عليه إلا نقضوه، ويعاهدون اليوم وينقضون غداً) (الطبري، ٢٠٠١م، ج٢/ص ٣٠٩).

وما هذا النقض والخروج إلا لأنهم فاسقون، قال ابن عاشور: "وقد شاع إطلاق (الفاسق) على الخارج عن طريق الخير، وشاع في القرآن وصف اليهود به، والمعنى: ما يكفر بهذه الآيات إلا من كان الفسق شأنه ودأبه، لأن ذلك يهيئه للكفر بمثل هذه الآيات، فالمراد بالفاسقين: المتجاوزون الحد في الكفر، المتمردون فيه". (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج١/ص ٦٢٥).

وقد كثر أخذ العهود عليهم في تكرار نقضهم العهود المتتالية مع الأنبياء المتكاثرين فيهم، ومخالفتهم العهد بأن يؤمنوا بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم المبتعث إليهم وإلى الناس كافة، ذلك النبي العظيم الذي أخذ الله العهد على الأنبياء قبله أن يتبعوه إذا ما بعث، والمراد أتباع هؤلاء الأنبياء، فهم الباقون بعد المرسلين فيهم قال تعالى: [ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ] [آل عمران: ٨١]. (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج١/ص ٦٢٥-٦٢٦).

ولكن من أتباع هؤلاء الأنبياء - وفي مقدمتهم اليهود - من نقضوا هذا الميثاق إلا قليلاً منهم، وقد قال (ابن صوريا) أحد كبراء اليهود للنبي - صلى الله عليه وسلم -: (يا محمد: ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليكم من آية بينة..) فأنزل الله في ذلك: [ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ] [البقرة: ٩٩]. (الواحدي، ١٩٩٢م، ص ٣١).

قال صاحب المنار: "والآيات بينت شأنين من شؤون أهل الكتاب، وهما أنه لا ثقة بهم في شيء، لما عرف عنهم نقض العهود، وأنه لا رجاء في إيمان أكثرهم، لأن الضلالة قد ملكت عليهم أمرهم إلا قليلاً منهم... وإن كان نقض العهود قد وقع منهم في كل زمن من فريق منهم دون فريق، فلا يتوهمن أحد أن أولئك هم الأقلون، بل هم الأكثرون". (رشيد رضا، ١٩٩٠، ج١/ ص ٣٩٦).

فمن وجوهِ إيراد ذكر أخبار أهل الكتاب، ونقضهم العهد، ومخالفتهم لأنبيائهم، تسليةُ الرسول والربط على قلبه، والتنبيه على أن اليهود ظالمون باغون عادون، وأن هَمَّهم بالفتك بسيدنا رسول الله ليس بجديد عليهم فقد قتلوا الأنبيآء قبله، والشر قديم، إذ قتل أحد ابني آدم أخاه، ومن ثَمَّ فإن التذكير بغدر اليهود مع ما له من بواعث ودوافع يأتي في مكانه في هذه المرحلة ! وفيه ما فيه: من التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

## المطلب الرابع

## مسألة الحدود

بعد مرحلة التأسيس وبعد تمكين الله المؤمنين في الأرض ألزمهم بإقامة الحدود، وذلك تحقيقا للعدالة الإلهية بين بني البشر، وقد شرع الله تعالى الحدود وبيّن ذلك في كتابه العزيز، وذلك إما شرعا جديدا لنا، أو عن طريق بيان شرع من قبلنا.

فمن الأول: حد السرقة (في المائدة:٣٨)، وحد الزنى (في النور:٢)، وحد القذف (في النور:٤)....الخ. وحد القصاص ذكر بإجمال (في البقرة: ١٧٨) وكل ذلك ورد في السور المدنية، ومن الثاني: (القصاص في النفس وفي الأطراف) قال تعالى: [ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ] [المائدة: ٤٥]

ففي الآية إخبار عمَّا كتب الله على بني إسرائيل في التوراة، من القصاص في النفس وفي الأعضاء المذكورة.

وقد اختلف أهل العلم في الأحكام التشريعية الثابتة في تشريع الأمم السابقة هل تعتبر شرعًا وحجة وأصلًا للتشريع والاستنباط في شريعتنا أم لا؟

فاتفق العلماء على حالتين، واختلفوا في حالة:

الحالة الأولى: اتفق العلماء على أن الأحكام الشرعية التي نص عليها القرآن أو السنة حكاية عن الأمم السابقة، وأقرها الله تعالى علينا وكتبها: اتفقوا على أنها أحكام شرعية واجبة الاتباع بالنسبة للمسلمين، مثل قوله تعالى: [ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ] [البقرة: ١٨٣].

الحالة الثانية: اتفق العلماء على أن الأحكام الشرعية التي ورد فيها نص في القرآن الكريم أو في السنة حكاية عن تشريع الأمم السابقة مع نسخها وإلغائها في شريعتنا: اتفقوا على أنها ليست أحكامًا شرعية، ولا تعد دليلًا ولا حجة ولا شرعًا لنا، مثل (تكليفهم بقتل أنفسهم إذا أرادوا أن يتوبوا توبة صادقة، وتحريم بعض الطيبات عليهم بسبب ظلمهم) (طنطاوي، ١٩٩٨م، ج١/ ٦٦٢).
الحالة الثالثة: إذا قصَّ القرآن الكريم حكمًا أو قصّ علينا النبي صلى الله عليه وسلم في سنته، ولم يرد فيها ما يدل على إقراره أو إلغائه، وقد مثّل لها البعض بمثل قوله تعالى: [ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ] [المائدة: ٤٥]، فهذه الحالة اختلف العلماء في عدّها حجة ومصدرًا تشريعيًّا على قولين:

القول الأول: إنها حجة وتشريع لنا يجب اتباعه وتطبيقه، وذهب إلى ذلك الحنفية والحنابلة وبعض المالكية وبعض الشافعية.

واحتجوا بقوله تعالى: [ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ] [الأنعام: ٩٠] ، وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - رجع إلى التوراة في رجم اليهودي، وأن شرع من قبلنا شرع لنبي سابق، وأن وروده في مصادر شريعتنا دون أن يرد له ناسخ قرينة على أنه شرع لنا وأنه إقرار علينا، وأن الأصل هو وحدة الشرائع السماوية، وأن عقيدتنا تأمرنا باتباع الرسل السابقين والاهتداء بهم، وأن القصاص بالنفس ثابت عندنا بالاتفاق مع أن الآية تتكلم عن بني إسرائيل.

ولكن يشترط أن يثبت ورود الشرع السابق في الكتاب أو السنة الصحيحة، ولا يصح الرجوع إلى كتب الشرائع السابقة للقطع بإدخال التحريف والتبديل فيها، وهذا يؤكد أن شرع من قبلنا ليس مصدرًا مستقلًا، وإنما يرجع إلى الكتاب والسنة ولو لم يرد إقرار صريح له.

القول الثاني: أن شرع من قبلنا الوارد في شريعتنا دون إقرار ليس شرعًا لنا، ولا حجة علينا، وهو قول الشافعي، لأن الشرائع السابقة خاصة بقومهم، لقوله تعالى: [ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا] [المائدة: ٤٨]، وأن الإسلام نسخ الشرائع السابقة ما لم يرد إقرار لها في شريعتنا. (ينظر: الشوكاني، ١٩٩هـ، ج١٧٩/٢، والزحيلي، ٢٠٠٦م، ج١/ص ٢٧٧).

وقال ابن كثير (ت/٧٧٤هـ) في تفسيره: وقد استدل كثير- ممن ذهب من الأصوليين والفقهاء إلى أن شرع من قبلنا شرع لنا، إذا حكي مقررا ولم ينسخ، كما هو المشهور عند الجمهور، وكما حكاه الشيخ أبو اسحاق الاسفراييني عن نص الشافعي وأكثر الأصحاب- بهذه الآية، حيث كان الحكم عندنا على وفقها في الجنايات عند جميع الأئمة. (ابن كثير، ١٩٩٩م، ج٣/ص ١٢١)

وذلك لأن هذه الآية قد أيدتها -بإجمال- آية البقرة وهي قوله تعالى: [ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى] [البقرة: ١٧٨]، فضلاً عن ورود أحاديث صحيحة كثيرة تبين تفاصيل القصاص.

ولذا تطرق كثير من المفسرين كابن كثير والشوكاني والقنوجي -في الآية التي فيها القصاص -في النفس والأطراف المكتوب على بني إسرائيل- إلى: أن الشيخ أبا نصر ابن الصباغ رحمه الله ذكر إجماع العلماء على الاحتجاج بهذه الآية على ما دلت عليه. (ابن كثير، ١٩٩٩م، ج٣/ص ١٢١، والشوكاني، ١٤١٤هـ، ج ٢/ص ٥٣، والقنوجي، ١٩٩٢م، ج٣/ص ٤٣٢).

والظاهر أن تلك الآية وردت تحذيراً وتخويفا لبني إسرائيل من مخالفة شرائع دينهم، وتنبيهاً للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين على ديدن اليهود من تعنتهم وعدم انقيادهم للحدود والأحكام المنصوصة في توراتهم، وأنهم كانوا دوماً يخالفونها، إذ كانوا يختارون منها ما يتفق وأهواءهم، فكيف ينقادون للإسلام، وكيف يُؤمن مِنْ مكرهم! والله أعلم.

## المبحث الثالث

## القضايا المشتركة بين المرحلتين (المكية والمدنية)

هناك قضايا تهم المسلمين في المرحلتين المكية والمدنية، وذلك إما لترسيخ إيمانهم، أو للدعوة إلى الله تعالى، أو لنشر العدالة والقضاء على الفساد، وبناء على ذلك يتضمن المبحث مطلبين :

### المطلب الأول:

### قضية الصراع الفكري ( البعث، ومسألة عيسى نموذجاً )

من القضايا المشتركة بين المرحلتين قضية الصراع الفكري، فقد تطرق القرآن الكريم لهذه القضية في المرحلتين (المكية والمدنية)، وذلك ليدلنا على أن الصراع الفكري لم تنته بانتهاء المرحلة الأولى من الدعوة، بل هي تمتد وتدوم دوام الحياة، ومن هذه القضايا والمسائل –على سبيل المثال- مسألتي: (البعث، ومسألة عيسى عليه السلام)، فقد تطرق للقضيتين في المرحلتين، لكن نقف في المرحلة المدنية على تفاصيل أكثر عن القضية، وتبعا لذلك يتضمن المطلب مسألتين:

#### أولاً-مسألة البعث وقيام الساعة في القصص القرآني:

إن قضية قيام الساعة هي إحدى القضايا الأساسية التي من أجلها بُعِثَ جميع الأنبياء والرسل، فلا تكاد تخلو قصة من قصص القرآن الكريم من مسألة قيام الساعة وقضية البعث بعد الموت، وما من نبي إلا واعترض عليه مسألة البعث، [ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ] [الواقعة: ٤٧]، لذا جاء التأكيد على هذه القضية في المرحلتين (المكية والمدنية)، ولعلّ السبب في ذلك أن المشركين وأهل الكتاب وسائر الملل تخبطت في هذه المسألة خبط عشواء، فإما ليس لديهم رؤية واضحة صحيحة تجاه هذه القضية الكبرى، أو أنها تنكرها إنكاراً قطعياً، بدعوى أنها من عالم الخيال لا وجود له أصلا، وسنشير لكل مرحلة إلى قصة من القرآن الكريم:

#### ١- مسألة البعث في المرحلة المكية: (قصة أصحاب الكهف نموذجا):

وردت قصة أصحاب الكهف في سورة الكهف المكية حيث تحكي القصة عن فتية آمنوا بربهم وهربوا بإيمانهم والتجؤوا إلى كهف، وبقوا هناك أكثر من ثلاثمائة سنة نائمين بأمر خارق من الله تعالى، كما قال تعالى في حقهم: [ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا] [الكهف: ١٠-١١] ثم أيقظهم الله من نومهم، وسمي ذلك بعثا؛ لأنه مظهر للحياة بعد اختفائها، وقد يقال في اللغة: بعثه، إذا أيقظه من نومه. (مختار، ٢٠٠٨م، ج١/ص ٢٢٢).

ولقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في خطبته لأهله وعشيرته: (والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون) (-أخرجه- الطبراني، ١٩٩٥م، ج٦/ص ٣٦١)

فبين أن البعث يشبه اليقظة بعد النوم مشابهة تجعل أحدهما كالآخر، وخصوصا أن البعث هنا مع بقاء الحياة، وإنما الذي غيَّب الكلام والسماع هو الرقاد). (أبو زهرة، د. ت، ج٩/ص ٤٤٩٨).

وفي نهاية القصة أشار القرآن الكريم إلى الحكمة الإلهية التي من أجلها ضرب الله على آذانهم وأنامهم هذه المدة ثم بعثهم، فقال عز وجل:[ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَا] [الكهف: ٢١] أي: ليعلم أهل بلدهم أن وعد الله حق في قيام الساعة وإعادة الخلق أحياء، لأن من أنامهم -كالموتى هذه المدة الخارجة عن العادة ثم أيقظهم أحياء- قادر على إحياء من أماته وأقبره. (الماوردي، د. ت، ج٣/ص ٢٩٥).

**٢-مسألة البعث في المرحلة المدنية:**

بما أن مسألة إحياء الموتى سؤال يراود أذهان الناس بما فيهم المؤمنين بالله واليوم الآخر، لذا ركز القرآن الكريم على هذه المسألة في هذه المرحلة بشكل مغاير لمرحلة مكة، التي أراد من الناس الإيمان بالبعث وذلك عن طريق إرسال الأنبياء والرسل، وعن طريق المعجزات، أما في مرحلة المدينة فأراد اطمئنان المؤمنين وتثبيتهم على الاعتقاد بالبعث والحساب، وذلك في ضوء القصص القرآني، ونقتصر هنا على ذكر قصة نبي الله تعالى (إبراهيم عليه السلام)، وقصة المار على قرية خاوية. (ذكر أكثر المفسرين أن المقصود به هو «عزير»، وهو كاهن يهودي سكن بابل سنة ٤٥٧ ق م تقريبا، ومن أعماله أنه جمع أسفار التوراة وألف ثلاثة أسفار: الأيام، وعزرا، ونحميا، وقد قدسه اليهود من أجل نشره لكثير من علوم الشريعة، وأطلق فريق من اليهود عليه لقب «ابن الله» وإنما قالوا ذلك، لأنه لم يبق فيهم بعد وقعة «بختنصر» - سنة ٥٨٦ ق م هـ من يحفظ التوراة. وهو لما أحياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا: ما هذا إلا لأنه ابن الله –تعالى الله عن ذلك-. ينظر: البيضاوي، ١٤١٨هـ، ج٣/ص٧٨، وطنطاوي، ١٩٩٨م، ج٦/ص٢٥٧)

وكأن الله تعالى أراد من قصتها هذا السؤال نيابة عن المؤمنين من بعدهم، وهو: (كيف يحيي الله الموتى) وكان ذلك رسالة لجميع المؤمنين حتى يطمئنوا ولا يفكروا بهذا السؤال، ولا يراودهم الشك في مسألة إحياء الموتى، قال تعالى في حق ذلك: [ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ. وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ] [البقرة: ٢٥٩-٢٦٠].

قال صاحب المنار: "إن طلب الْمزيد في العلم والرغبة في اسْتِكْنَاهِ الحقائق والتشوف إلى الْوُقُوف على أسرار الْخلِيقَةِ مِمَّا فطر اللهُ عليه الإنسان، وَأَكْمَلُ النَّاسِ علماً وفهماً أَشدُّهُمْ للْعلْمِ طلباً... ولَنْ يَصِل أحد من الْخَلْقِ إلى الْإِحَاطَة بكل شَيْءٍ علماً ... ، وقد كان طَلَبُ الْخَلِيلِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - رُؤْيَةَ كَيْفِيَّةِ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى بِعَيْنَيْهِ منْ هذا القبيل، فهُو طَلَب للطُّمَأْنِينَة فيما تنْزِعُ إليه نفسه القدسية من معْرِفةِ خفايَا أَسْرَار الرُّبُوبِيَّة. لا طلبٌ في أصل عقْد الْإِيمَان بالبعث الَّذِي عرفه بالْوَحْيِ وَالْبُرْهَان دون الْمُشَاهدة والعيان...وفي هذا الْإِرْشَاد لخليل الرَّحْمَن تَأْديب للْمُؤْمنِين كافة ومنْعٌ لهم عن التَّفَكُّرِ في كَيْفِيَّة التكوين وإِشْغَالِ نُفُوسهِمْ بما استأثر اللهُ - تعالى ـ به فلا يليقُ بهم البحث عنه". (رشيد رضا، ١٩٩٠م، ج٣/ص ٤٥-٤٦).

**ثانياً: مسألة عيسى (عليه السلام)**

إن قصة عيسى عليه السلام من القصص التي ورد ذكرها في المرحلتين(المكية والمدنية) لكن بشكل مغاير، فقد ورد في المرحلة المكية تفاصيل ولادته، في حين وردت البشارة بولادته بإيجاز في المرحلة المدنية (في سورة آل عمران)، وكان التركيز فيها لتفنيد مزاعم التثليث ومسألة إحياء الموتى ومعجزاته الأخرى أكثر، ونحن نأخذ نموذجا من قصته لكل مرحلة:

**١-قصة عيسى في المرحلة المكية:**

قال الله تعالى: [ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا.. ] إلى قوله: [...ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ] [مريم: ١٦-٣٤].

فقصة عيسى عليه السلام نجدها معروضة بالتفصيل من قبل ولادته، أي من حمل أمه به، ومن ثم ولادته ثم تكلُّمه في المهد، لكننا لا نجد هذه التفاصيل الدقيقة معروضة في قصة أيّ نبي آخر؛ لأنها تفاصيل لا تلزم المسلمين، بينما نجد ذلك كله في قصته؛ لأنها تفاصيل تلزم المسلمين ويحتاجون إليها في قضية الصراع الفكري حول إثبات بشرية عيسى المولود من غير أب، والرد على النصارى بزعمهم أنه إله، إذ اتسمت الآيات التي تناولت قصته بالتأكيد على بشريته وأنه عبد مرسل اصطفاه الله تعالى، وأن خلقه جاء على خلاف السنن الكونية، وأنه ليس فيه من صفات الألوهية شيء.

**٢-قصة عيسى عليه السلام في المرحلة المدنية:**

في هذه المرحلة نقف على بعض جوانب حياته عليه السلام في بني إسرائيل، من ذلك ذكر معجزاته كإحياء الموتى بإذن الله، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، قال تعالى في حق ذلك: [ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ...] [آل عمران: ٤٩].

وكقصة المائدة، قال تعالى: [ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ .... ] [المائدة: ١١٤-١١٥] .

ثم دفع مسألة التثليث وردها رداً قاطعاً، وأنها محض افتراء على ذاته الشريفة، قال تعالى في حق ذلك: [ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ من دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ ...] [المائدة: ١١٦]، ثم مسألة رفعه إلى السماء؛ قال تعالى: [ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ] [آل عمران: ٥٥].

وما ذلك إلا لأن القضية الأساس في الصراع الفكري مع النصارى هي الرد عليهم في قضية قتل المسيح وصلبه؛ وتفنيد اعتقادهم بألوهيته وأنه ابن لله، أو أن الله ثالث ثلاثة (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً) فكان لا بد من ذكر هذه التفاصيل تأكيداً على بشرية عيسى، وأنه عبد الله ورسوله، وأن هذه المعجزات كانت بإذن ربه وليس لأنه إله كما يزعمون، قال تعالى: [ لَقَدۡ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الۡمَسِيحُ ابۡنُ مَرۡيَمَ وَقَالَ الۡمَسِيحُ يَا بَنِي إِسۡرَائِيلَ اعۡبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ إِنَّهُ مَنۡ يُشۡرِكۡ بِاللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيۡهِ الۡجَنَّةَ وَمَأۡوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنۡ أَنۡصَارٍ لَقَدۡ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنۡ لَمۡ يَنۡتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ] [المائدة: ٧٢-٧٣].

## المطلب الثاني

## محاربة الفساد

إن الفساد ظاهرة سلبية إنسانية قديمة في الأمم، وقد جاء ذكر بعض تلك الأمم في القرآن الكريم، ولا يكاد يخلو عصر من العصور من ظاهرة من ظواهر الفساد، ولو رجعنا إلى الحوار المسجل بين الله تعالى وملائكته في قصة خلق آدم عليه السلام، لوجدنا مصداق ذلك في قول الملائكة لرب العزة حين أعلمهم باستخلافه الإنسان في الأرض: [ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ] [البقرة: ٢٩] ويفهم من هذا التحذير أن أهم خطر يهدد حياة الإنسان في الأرض التي استُخلِف فيها هو الفساد.

وقد ورد التحذير والنهي عن الفساد في المرحلتين المكية والمدنية، وليس ذلك إلا لخطورة الفساد، والعمل على محاربته، وينبغي الإشارة إلى أن الشرع الحنيف قد جعل كل المعاصي فساداً في الأرض، فإن الفساد قد يكون في العقيدة فيكون فساداً عقدياً وهو أسوأ أنواع الفساد وصوره، وقد يكون أمنياً واجتماعياً، وقد يكون مالياً أو أخلاقياً وعلى هذا يتناول هذا المطلب خمسة أنواع من الفساد على النحو الآتي:

**أولاً: الفساد العقدي:**

الفساد العقدي: هو الانحراف عن العقيدة الصحيحة، وارتكاب ما ينافيها أو ينافي كمالها الواجب (الجرمان، د. ت، ص ٧)، وهو أساس كل فساد، فسعي الإنسان تبع لمعتقده؛ فإذا كان المعتقد فاسداً كان السعي فاسداً، وإذا كان المعتقد صحيحاً صالحاً صلح سعيه، وإلى ذلك الإشارة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهي القلب) (حديث صحيح، أخرجه البخاري البخاري- باب من استبرأ لدينه: (٢٨/١) رقم الحديث: (٥٢)، ومسلم-باب أخذ الحلال وترك الشبهات: ١٢١٩/٣، رقم الحديث: (١٥٩٩).

والقرآن الكريم عدّ الكفر فسادا، إذ قال تعالى : [ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ] [البقرة: ١١-١٢] قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ المراد بالفساد: الكفر.

وقال غيره: إنه النفاق الذي صادقوا به الكفار، واطّلعوهم على أسرار المؤمنين. (ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ج١/ ص ٣٢).

وكل من الكفر والنفاق اعتقاد فاسد، يفسد به سلوك المرء فيسعى في الأرض فساداً، وقد ركز القرآن على هذا النوع من الفساد في المرحلتين، وذلك لخطورته ولأن كل أنواع الفساد تبع للفساد العقدي، ففي المرحلة المكية ذكر الله لنا قصة مواجهة الأنبياء للفساد العقدي في أقوامهم، فقال في حق نبي الله شعيب: [ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ] [العنكبوت: ٣٦] .

وفي المرحلة المدنية أيضا ذكر لنا القرآن الكريم محاججة ابراهيم الخليل للملك من أجل محاربة الفساد العقدي، قال تعالى: [ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] [البقرة: ٢٥٨].

**ثانياً: الفساد الأمني والاجتماعي:**

الأمن أساس النعم، ومن فقد الأمن لم يشعر بسائر النعم، يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم: (من أصبح منكم آمناً في سربه، معافاً في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا) (أخرجه ابن ماجه باب الاقتصاد في طلب المعيشة:٢٧٤/٣- رقم الحديث: ٢١٤٢، والترمذي- :٥٧٤/٤- رقم الحديث:٢٣٤٦). فقارن بين الأمن والصحة والرزق بل قدمه عليهما.

وعند التدبر في القرآن الكريم نرى بأن أغلب الآيات التي جاء فيها ذكر الفساد الأمني جاءت مرتبطة بالأرض التي هي موطن الإنسان وفيها نشاطه، ويتعرض القرآن بشكل مفصّل تحت تعبير الإفساد في الأرض إلى ضمانات الأمن الاجتماعي خصوصاً الداخلي منه يقول تعالى: [ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ] [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

وفي ضوء القصص القرآني في المرحلتين المكية والمدنية يتعرض القرآن المجيد لسرد مواجهة الأنبياء الكرام للفساد والمفسدين على النحو الآتي:

١-في المرحلة المكية هناك نماذج عديدة من قصص مكافحة الفساد الأمني في القرآن الكريم، منها: قصة صالح عليه السلام: قال الله تعالى: [كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ... ] [... وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ] [الشعراء: ١٤١-١٥٢]، وقال في سورة النمل: [... وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ..... ] [.... وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ] [النمل: ٤٥-٤٨]، قال ابن الجوزي في تفسير هذه الآية: (وَكانَ فِي الْمَدِينَةِ وهي الحِجْر التي نزلها صالح تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ يريد: في أرض الحِجْر، وفسادهم: كفرهم ومعاصيهم، وكانوا يسفكون الدِّماء ويثبون على الأموال والفروج، وهم الذين عملوا في قتل الناقة). (ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ج٣/ ص ٣٦٦).

٢-بعد الهجرة وقيام دولة المدينة ركّز القرآن الكريم أيضا على خطورة الفساد الأمني، وذلك حفاظا على أمن الدولة الإسلامية، وهناك نماذج كثيرة لذكر خطورة الفساد الأمني في هذه المرحلة الدعوية في ضوء القصص الواردة في هذه المرحلة، منها:**قصة ابني ادم عليه السلام:** قال تعالى: [ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ... ] [المائدة: ٢٧-٣١].

ولأهمية الحفاظ على الأمن القومي والإنساني أعقب قصة ابني آدم بعقوبة عظيمة لبني اسرائيل فقال: [ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ] [المائدة: ٣٢] .

ولعل في تخصيص بني إسرائيل بالذكر إثر إيراد قصة ابني آدم (عليه السلام)، تحذيراً وتخويفاً لهم بأن لا يلطخوا دماءهم بقتل الأبرياء ولو لنفس واحدة وإلا حلّ بهم نقمة الله، وكأن في الآية تلميحاً بأنهم لا ينتهون عن فعل ذلك، وأنهم لو اقتدروا لأقدموا على فعل ذلك في سبيل الحفاظ على مصالحهم.

ثم أعقب ذلك بأعظم عقوبة للذين يسعون في الأرض فسادا، وسجل عملهم هذا ضمن محاربة الله ورسوله، فقال: [ إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ] [المائدة: ٣٣].

**ثالثاً: الفساد المالي:**

الفساد المالي هو: التجاوز والانحراف في انفاق المال أو تحصيله عن المقدار الذي بينه الشرع. (ينظر: أبو هلال العسكري، د-ط، ص، ٢١٤، والتهانوي، ١٩٩٦م، ج٢/ص ١٢٧١).

وجعل الله تعالى قوام الحياة بالمال، قال تعالى: [ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا] [النساء: ٥] وقرر القرآن الكريم أن المال هو زينة الحياة الدنيا، قال تعالى في محكم كتابه: [ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا] [الكهف: ٤٦]، ولما كان الأمر كذلك فقد ضعفت نفوس كثير من الناس فمارسوا الفساد في سبيل الحصول عليه أو في طريقة إنفاقه، ومن أعظم مقاصد القرآن الكريم والشريعة الإسلامية حفظ الأموال لأصحابها وعدم التعدي عليها، وهو إحدى الضرورات الخمس التي جاء الإسلام بحفظها. (الشاطبي، ١٩٩٧م، ج١/ص ٣١).

ومن أبرز صور الفساد في تحصيل المال: السرقة، والربا، والغش في البيع، وأكل أموال الناس بالباطل، والميسر في حال الربح.

ومن أبرز مظاهر الفساد في إنفاق المال: الإسراف والتبذير، والبخل والتقتير، والميسر في حال الخسارة.

وقد شن القرآن الكريم حرباً لا هوادة فيها على جرائم الفساد الاقتصادي، ومن أساليب القرآن الكريم في مكافحة هذه الظاهرة سرد قصص السابقين، والمتأمل في قصص الرسل عليهم السلام -كما عرضها القرآن الكريم- في المرحلتين المكية والمدنية، يجدهم قد أولَوا مكافحة الفساد الاقتصادي عناية شديدة؛ وذلك لِسوء أثره على الأُمة سواء على المستوى الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي.

أ-في المرحلة المكية مثلا ذكر لنا نماذج عديدة من الفساد الاقتصادي، منها:

١- **نموذج المفسد قارون** في صورة تفاخره بملابسه، وتكبُّره بسبب ثرائه، إضافةً لمنعه حق الفقراء، فقال تعالى: [ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ، وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ... ] [القصص: ٧٦-٨٣].

٢- **نموذج أصحاب الجنة** بصورة تعطيل الزكاة والصدقات، فقال تعالى: [ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ] [القلم: ٢٢-٢٤].

٣- **نموذج ثمود بصورة إهدار المال في المباني،** والإسراف المفرط في إنشائها من دون حاجة لسُكناها، كما حكى سبحانه وتعالى توبيخ نبيهم صالح عليه السلام لهم بقوله: [أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ] [الشعراء: ١٤٦-١٥٢]. وكان المطلوب منهم أن يؤمنوا أولاً، ثم يتجهوا إلى عمارة الأرض وفق ما أمر الله تعالى: [وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا] [هود: ٦١].

٤- **نموذج قوم شعيب عليه السلام** بصورة المعاملات التجارية المنحرفة، وتمثلت في إنقاص حق الغير، وبخس الناس أشياءهم، كما حكى تعالى قول شعيب عليه السلام لقومه: [ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] [الأعراف: ٨٥].

ب-في مرحلة ما بعد تأسيس الدولة (مرحلة المدينة)

نرى بأن القرآن الكريم يحذر المؤمنين من خطورة الفساد المالي، وذلك نظراً لسوء أثره على المجتمع سواء على المستوى الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي، فقد سجل نماذج عدة للفساد الاقتصادي للأمم الغابرة حيث وقعوا في صور منه. منها، **فساد بني إسرائيل:** وصف الله بني اسرائيل في أكثر من موضع من سورة المائدة بأكل الحرام عن طريق أخذ الحرام كالرشوة، والربا، كما في قوله تعالى:[ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا *وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ] [النساء، ١٦٠-١٦١] وقوله تعالى: [ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ] [المائدة: ٤٢].

أشارت الآيات الكريمة إلى أن بني اسرائيل كانوا يأكلون الربا، وكذلك السحت وهو كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته إذا استأصله، لأنه مسحوت البركة، أو هو الرشوة في الحكم، وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وتحليل الحرام. (النسفي، ١٩٩٨م،ج١/ص٤٤٨).

**رابعاً: الفساد الأخلاقي:**

يراد بالفساد الأخلاقي: الانحراف عن القيم الأخلاقية والسلوك القويم إلى الأخلاق الفاسدة والسلوك السيئ (ينظر: محمد علي، ٢٠٠٣م، ١٢). وأخطره ما كان في مجال العلاقات الجنسية غير الشرعية، لأنه تعدٍّ على العروض، ومن أعظم مقاصد القرآن الكريم حماية الأعراض، فهي من الضرورات الخمس التي حماها الإسلام كما قال الشاطبي (، د. ت، ج١/ص ٣١).

من أجل ذلك حرم القرآن كل ما يشكل اعتداء على العرض؛ فحرم الزنا واللواط والقذف، وقد نظم الله العلاقة الجنسية فقصرها على الزواج، وجعل غير ذلك تعدياً، قال تعالى في وصف المؤمنين: [ ... وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ] [المؤمنون: ٥-٧]، وقد بين ذلك في المرحلتين على النحو الآتي:

أ-يذكر القرآن في المرحلة المكية نوعاً من الفساد الأخلاقي ضمن دعوات قوم لوط، فالقرآن يعدّ عمل قوم لوط من صور الفساد في الأرض، وهذا العمل الممقوت يؤدي –فضلاً عن الأمراض الخبيثة- إلى تهديد النسل والوجود البشري، قال تعالى في حق ذلك: [ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا

سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ] [العنكبوت: ٢٨-٣٠].

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبرًا عنْ نَبِيِّهِ لوط عليه السلام، إنَّهُ أَنْكَرَ على قومه سُوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه مِنْ قبيح الْأَعْمَالِ، في إتيانهم الذُّكْرَانَ من العالمين، ولم يَسْبِقْهُمْ إلى هذهِ الْفِعْلَةِ أحدٌ من بَنِي آدَمَ قبلهم، وكانوا مَعَ هذا يكفرون بِاللَّهِ، وَيُكَذِّبُون رسُولهُ ويُخالِفُونه ويَقْطَعُون السّبِيل، أي: يقفُون في طريق النَّاس يقْتُلُونَهمْ ويأْخُذُون أمْوَالَهُمْ، [ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ] أي: يفْعَلُون ما لا يليق من الأَقْوَال والأَفْعَال في مجالِسِهِم الَّتي يجْتَمعون فيها، لا ينْكِر بعْضُهمْ على بعْضٍ شَيئًا منْ ذلِكَ، فمنْ قائِلٍ: كانُوا يأْتُون بعْضَهُمْ بعْضًا في الْملأِ قَالَه مجاهد". (ابن كثير، ١٩٩٩م، ج٦/٢٧٦).

والموضوع يطرح في حضارة اليوم تحت عنوان: (المشكلة الجنسية) التي أصبحت معلماً بارزاً وسيئاً وخطيراً لا سيما في الحضارة الغربية التي تريد أن تحكم العالم اليوم، والجنسية المثلية التي يريد الغرب أن يقننها كظاهرة إنسانية مقبولة، يعتبرها القرآن من أبشع صور ونماذج الفساد في الأرض.

**ب-في المرحلة المدنية** نرى بأن الله تعالى أنزل سورة كاملة حفلت ببيان الجرائم الأخلاقية، ولمّح إلى دوافعها، كما أبان عن معالجتها، وقد ذُكر في بداية السورة بأن الله فرضها، فقال: [ سُورَةٌ أَنْزَلْناها وَفَرَضْناها] [النور: ١] قال الراغب الأصفهاني(١٤١٢هـ، ص ٦٣٩): أي: أوجبنا العمل بها عليك.

تتضمن السورة القواعد والمبادئ الأخلاقية التي أمر الله بها أو نهى عنها، فقد جاء التحذير في السورة عن الأخلاق السيئة والتخلي عن الرذائل والتطهير منها، وجاء الأمر بالتحلي والالتزام بالأخلاق الفاضلة.

فقد جاء النهي والتحذير عن الزنا، وعده جريمة يستحق فاعلها عقوبة شديدة: [ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ] [النور: ٢].

وجاء الأمر بقطع العلاقة بالزناة والتحذير من الزواج منهم، بقوله: [ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ] [النور: ٣]

وجاء النهي عن قذف المحصنات بقوله: [ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ] [النور: ٤].

وجاء النهي عن تتبع خطوات الشيطان لأنه يأمر أتباعه بالفحشاء والمنكر، قال تعالى: [ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ] [النور: ٢١].

وجاء الأمر بغض البصر وحفظ الفروج، قال تعالى: [ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ] [النور: ٣٠-٣٢].

وجاء الأمر بالنكاح لمن يجد مؤنة النكاح، والأمر بالعفة والطهارة لمن لايجد مؤنته، وذلك بقوله: [ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ] [النور: ٣٣].

وجاء النهي عن البغاء بقوله: [ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا] [النور: ٣٣].

وهناك إشارات وجيزة في السور المدنية بعد إقامة الحدود وتبرئة المتهم، إلى أن هذا سنة الله تعالى، فقد بين الله تعالى أنه أنزل مثلاً من الذين خلوا وموعظة للمتقين، وذلك بعد سوق تشريعات وأحكام لنا من تحريم الزنى وقذف المحصنات، ووجوب الاستئذان وغض البصر في سورة (النور: الآية ٤٠) كما قال الآلوسي (١٤١٥هـ، ج٩/ص ٣٥٣٩). وكذا بعد أن بين الله جملة من الأحكام في سورة النساء المدنية–ومن بينها حكم إتيان الفاحشة-أعقبها سبحانه

بقوله: [ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ] [النساء: ٢٦]، وفي خواتم سورة الأحزاب المدنية المتضمنة لجملة من الأحكام -ومن بينها وجوب الستر وإدناء الجلباب للنساء- ورد إثرها قوله تعالى: [ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ] [الأحزاب: ٦٢].

**خامساً: الفساد السياسي:**

الفساد السياسي: هو إساءة استخدام السلطة العامة لأغراض غير مشروعة، والسياسة الرشيدة للأمة من أهم مقاصد القرآن الكريم، قال ابن عاشور -رحمه الله: (من المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها: سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها) (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١/ص ٤٠، وينظر: وزارة الأوقاف، ١٤٢٧هـ، ج٨/ص ٢٦٠).

وقد سلط القرآن الكريم الضوء على موضوع الفساد السياسي في المرحلتين المكية والمدنية سواء أكان ذلك عن طريق قصص الملوك والسلطة الفاسدة للتحذير عن السير على نهجهم، أو عن طريق قصص العدل والسلطة العادلة للامتثال والاقتداء بهم، وهذا الباب ذكر بشكل واسع جدا في القرآن الكريم، وذلك لأهميته وتعلقه بحياة الناس، ولأن المقصد الأكبر من بعثة الأنبياء هو تثبيت وتحقيق العدالة على الأرض، على النحو الآتي:

**أ-في المرحلة المكية: ذكر لنا نماذج عدة من السلطة الفاسدة والصالحة:**

**أولها: النماذج الفاسدة:**

**١- نموذج فرعون**، فقد وصف القرآن فرعون بالعلو والإفساد في الأرض، قال تعالى: [ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ] [الفجر: ١٠-١٢]، وقال تعالى: [ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ] [القصص: ٤]، قال في آية أخرى: [ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ] [الزخرف: ٥٤].

**٢- نموذج عاد**، فقد وصفهم القرآن بالاستكبار في الأرض، والاستكبار من عوامل الإفساد في الأرض، قال تعالى: [ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ] [فصلت: ١٥].

**ثانيها- نماذج من السلطة العادلة والصالحة، منها:**

**١- نبي الله يوسف عليه السلام**، ذكر لنا القرآن قصة يوسف عليه السلام حيث طلب من الملك أن يجعله وزيرا للثروات المالية، وذلك بإرادة الله تعالى، قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: [ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ] [يوسف: ٥٥] ثم قال: [ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ] [يوسف: ٥٦] فبعد أن مكنه الله في الأرض استطاع يوسف الصديق عليه السلام بما أنعم الله عليه من النبوة والحكمة تحقيق العدالة وخلاص الناس من أزمة اقتصادية محققة.

**٢- ذو القرنين**، الملك العادل الذي مكنه الله في مشارق الأرض ومغاربها، وطاف بالأرض كلها،قال تعالى: [وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ... وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ] [الكهف: ٨٣-٨٦]،وبعد أن بلغ مغرب الشمس وجد هناك قوما وكانوا كفارا فخيرهم بين أمرين أن يعذبهم بالقتل أو يدعوهم إلى الإسلام.

فما كان من الملك العادل إلا أن اختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال: أمّا من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك: فذلك هو المعذب في الدارين وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ ما يقتضيه الإيمان فَلَهُ جَزاءً الْحُسْنى. (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٢/ص ٧٤٤، والنسفي،٢٠١٩م، ج١٠/ص ١٣٧).

**ب-في مرحلة ما بعد تأسيس الدولة ذكر لنا قصص عدة للسياسة العادلة والظالمة،منها:**

**أولها- نموذج السياسة الفاسدة (نمرود- انموذجا)**،قال تعالى: [ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ] [البقرة: ٢٥٨].

فلما احتج إبراهيم عليه السلام على نمرود بأن الله يحيي ويميت فما كان من الملك الظالم إلا أن استعمل سياسته الظالمة للاحتجاج على إبراهيم عليه السلام وأنه –كما روي-دعا برجلين فقتل أحدهما وأطلق الآخر (الزجاج، ١٩٨٨م، ج١/ص ٣٤١).

وهذا من أبشع أنواع الإفساد في الأرض،وذلك بأن يستعمل المسؤول سلطته لظلم الأبرياء من أجل بقاء سلطنته ويسمى ذلك سياسة.

وهناك أمثلة عدة في التأريخ الإسلامي لهذا النوع من السياسة،مثل استشهاد الحسين رضي الله عنه، وكذلك رمي بيت الله بالمنجنيق واستشهاد عبد الله بن الزبير رضي الله عنه،(ينظر: ابن كثير، ٢٠٠٦م، ج٩/ص ٦١)،كل ذلك كانت سياسة ظالمة للحفاظ على السلطة السياسية آنذاك.

**ثانيها- نموذج السياسة العادلة (طالوت) أنموذجا**، قال تعالى: [ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ] [البقرة: ٢٤٧].

من المعروف بين الناس أنه لا يستوجب الملك ولا يولى إلا بالوراثة من الآباء، أو بالسعة في المال، لذلك قال الملأ من بني اسرائيل لنبيهم: [وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ] لأنهم كانوا أبناء الملوك وأرباب الأموال.

ثم بين لهم - عَزَّ وَجَلَّ - أن حجة الاختيار ليست إليهم، وأن سبب الملك ليس ما ذكر، بل الله - عَزَّ وَجَلَّ - يختار من يشاء لذلك بأسباب أخرى سوى ما ذكروا، وهو التفضل بالعلم وبالقوة، حيث قال: [ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ]، مبيناً أن الملك يحتاج إلى فضل علم وفضل قوة (الماتريدي، ٢٠٠٥م، ج٢/ص ٢٢٣).

وغير ذلك من النماذج الكثيرة للصالحين والمفسدين في غابر الأزمان.

## نتائج البحث

بعد هذه الجولة المباركة في رحاب هذا الموضوع، خلص البحث إلى نتائج، من أبرزها:

١-ضرورة دراسة القرآن الكريم خاصة والتراث الإسلامي عامة، دراسة دقيقة متأنية، بغية استنباط الحِكم والفوائد التي يمكن بها أن نفهم واقعنا، ونواكب مستجدات عصرنا. وهذا هو الذي يمكن أن يطلق عليه (فقه المرحلة) أي التي نعايشها، ونعي الظروف التي نمرّ بها مستنيرين بهدي القرآن.

٢-القصصُ القرآني- الذي يعدّ أحد الأساليب القرآنية التي كان لها وقعها المؤثر في النفوس لما يحمل من طابع التشويق فضلاً عن الدقة والصدق في وصف الأحداث الغابرة- كان ينزل منه في كل من مرحلتي مكة والمدينة ما يناسب ويلائم الواقع الذي كان يعيشه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، مما يجعلنا أن نزداد يقيناً واطمئناناً إلى أن الدين الإسلامي دين واقعي وعملي، يخاطب كل جيل بما يصلحهم ويقتضيه المحيط والبيئة التي يتواجدون فيها، وما ينطبق على ظروف وبيئة قد لا ينطبق على آخرى، مع الحفاظ على الثوابت التي هي قوام الدين الذي لا يوجد بدونها، وبهذا يواكب الدين مستجدات العصر، ويساير التطورات، وعند ذاك يصح القول: إنه صالح لكل زمان ومكان.

٣- هناك حضور كثيف لقصص أكثر الأنبياء في مرحلة مكة، إذ هي مرحلة البناء للعقيدة السليمة التي تتطلب جهوداً جبارة، فكانت القِصص مليئة بالنماذج من الدعوة إلى التوحيد الخالص والصبر على المكاره والأذى. فضلاً عن تضمنها المبادئ الأساسية في الأخلاق والقسط في الميزان والتنويه ببعض العبادات التي يشترك فيها معظم الأنبياء، والتي لا بد منها من ربط العبد بخالقه-على اختلاف في هيئتها وكيفيتها- وكذلك حسن التعامل والعدل بين أبناء الأمة، مما يُلزِم المسلمين كافة من تكريس جُلّ اهتماماتهم في تلك القضايا فهماً واعتقاداً وعملاً، وأن عليهم تنظيم أمورهم وترتيبها وفق أولوياتها وأهميتها في حياتهم الدنيا والآخرة.

٤- أما القصص في مرحلة المدينة فكان فيه تصريحات –تارة- وتلميحات -تارة أخرى- إلى ما يتطلبه الدولة الإسلامية الفتية، من الوحدة والاعتصام بحبل الله تعالى ونبذ التفرق، والجهاد في سبيله ، وكيفية مواجهة أهل الكتاب الذين يكيدون للإسلام، والأخذ بأيدي كل من يريد أن ينال منه أو يمسه بسوء، فضلاً عن تضمن القصص بعض التشريعات والأحكام وبناء المؤسسات التي لا بد منها لقوام هذه الدولة، وهي ثمرة الإيمان الصادق وعنوانه، إذ الإيمان بدون الالتزام بالتشريعات الإلهية في المعاملات والأخلاق يصبح ادعاء زائفاً، وبناء خاوياً مهما بدا مزخرفاً مزركشاً.

هذا ولم تخل الدعوة المدنية من بناء الجيل الجديد على التوحيد وعبادة الله وحده، فالهدف الأسمى والغاية العظمى من الدين هي حمل الناس على توحيد ربهم وتعظيمه والتوجه إليه والتوكل عليه، لأنه إذا صلح واستقام لهم ذلك صلح ما دونه لا محالة. ومن هنا احتوت القِصص في السور المكية والمدنية – مع اختصاص كل من المرحلتين بأسلوب وطريقة عرض تناسبه-. على تثبيت العقيدة وترسيخ التوحيد وبعث الخلق، وبيان مصيرهم في الآخرة، وتوضيح الصراع الدائر بين الحق والباطل ومحاربة الفساد بشتى أنواعه، مما يدل على أن هذه القضايا لا بدّ أن تأخذ اهتماماً كبيراً وسعياً دؤوباً –لدى الجميع- للقيام بأعبائها، وأنه لا يمكن التهاون بها مهما ارتقى الإنسان في الماديات، وتفوّق في استكشاف سنن الحياة التي أودعها الله في الكون.

٥- احتلت قصة أهل الكتاب مساحة واسعة من القصص القرآني، فكان أكثرها وروداً في العهدين، وبصور وأساليب متعددة، بل جلّ القصص في العهد المدني كان عنهم، ولا سيما قصص بني إسرائيل وحياتهم بعد نجاتهم من بطش فرعون وجوره، في حين كان المتوقع منهم وكان الأجدر بهم أن يكونوا من أشد الناس اتباعاً لهدي نبيهم موسى -عليه السلام-والأنبياء من بعده، إلا أنهم أخذوا ينقضون العهود، ويعترضون على أنبيائهم ويسألونهم ما ليس لهم، ويشتكون من طريقة عيشهم، ولم يكتفوا بذلك بل صاروا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق، ومن ثمَّ جاء التحذير والتنبيه على غدرهم ونقضهم للعهد في أكثر من موضع، لأنهم إذا كانوا بهذه القباحة والشناعة مع أنبيائهم، فكيف مع نبي الإسلام الذي هزّ بينانهم، وأفل نجمهم بظهوره، وإذا كانوا كذلك مع سيد الخلق، ومع أفضل الأصحاب، فكيف يتعاملون معنا! وهل يتوقع أو يرجى منهم أفضل من ذلك، فكان من الواجب علينا الحذر وأخذ الحيطة منهم، وتوقّع أسوأ الاحتمالات منهم وممن هم على شاكلتهم، كما أن علينا أن لا نغتر بوعودهم الكاذبة وشعاراتهم الزائفة.

٦-في القِصص القرآني أيضاً إشارات وبشارات بأن قيادة الأمة آلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأنها تبقى فيهم ما داموا متمسكين بدينهم، مجاهدين في سبيله، آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر، يحكمون بالعدل، ويأخذون بالسنن التي أودعها الله في الكون، وهذه الأمور هي من عوامل التثبيت والتمكين في الأرض، فإن تخلوا بذلك ملكوا زمام القيادة، وإلا حلّت بهم سنة الاستبدال، كما هو حال المسلمين اليوم، وأنهم لا يُمكّنون في الأرض إلا بالرجوع إلى دينهم الذي كله خير ورحمة للإنسانية جمعاء، وأنه بغيابهم عن الساحة حلّ الظلم والفساد وعمّ في أكثر أرجاء المعمورة.

٧-ركّز القرآن الكريم في سرد قصص الأنبياء الجانبَ والمسألة الأبرز في حياتهم، مما ينبغي ملاحظته، فعلى سبيل المثال بيّن القرآن الكريم ولادة عيسى عليه السلام مفصلة، بصورة لا نجدها كذلك لغيره، كما ركز في القرآن كله على بشريته وإنسانيته، ونفي ألوهيته وخالقيته، وما جرى على يديه من المعجزات كان بإذن الله منسوباً إليه تعالى، واختص العهد المدني بمجادلة أهل الكتاب في تلك القضية في أكثر من موضع، مما يجعلنا أن نستشعر بأهمية هذه القضية على الساحة وحيويتها، وأن نعمل جاهدين لبيان حقيقتها ودحض الشبهات التي تثار حولها، مسترشدين بنور القرآن الكريم فيها.

٨-قصّ الله علينا في القرآن الكريم قصص أمم كثيرة، من الأنبياء والتابعين، وكذلك أخبار المفسدين والطغاة، فما قام به النبيون ومن سار على نهجهم كله تجارب ناجحة، وهي نماذج فريدة يحتذى بها، فليست الإمامة والقدوة هي النصر القريب على الأعداء والظفر بحكم الناس، بل التمسك بالمبدأ الصحيح الموافق لما أراده الله تعالى، والجهاد في سبيل ذلك حتى ملاقاة الله تعالى، هو النصر والفوز العظيم، ومن ثم فينبغي أن لا يغترّ بكثرة أتباع الباطل وقلة أتباع الحق من النبيين والصالحين. مما يتحتم علينا أن نعمل -لخدمة الإسلام- أفرادا وجماعاتٍ وفق شرع الله وسنن الكون، ولا ننتظر النتائج القريبة، فهي تتحق لا محالة -بإذن الله- ولو بعد حين. فالمؤمن عليه أن يسعى {وأن سعيه سوف يُرى}، وأن النصر والتمكين ثمنه باهظ وكبير، لا يتحقق بالأماني والتقاعس، بل ببذل الغالي والنفائس.

## قائمة المصادر والمراجع:

*بعد القرآن الكريم

- إبراهيم مصطفى، وآخرون (١٩٨٩م): *المعجم الوسيط*، اسطنبول- تركيا: : دار الدعوة.

- أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)

حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

- ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر (٢٠٠١م): مقاصد الشريعة الإسلامية: تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، ط٢، الأردن: دار النفائس.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (المتوفى : ٧٥١هـ) (١٩٦٨م): *إعلام الموقعين*، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، مصر، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

- ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك بن هشام (المتوفى: ٢١٣هـ) (١٩٥٥ م): *السيرة النبوية*: تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

- أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (١٤٢٠هـ): *البحر المحيط في التفسير*، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر.

- إسماعيل، محمد بكر (المتوفى: ١٤٢٦) (١٩٩٩م): *دراسات في علوم القرآن*، ط٢، دار المنار-مصر، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (١٩٩٣م): *صحيح البخاري*، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٥، دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة.

-ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٢٢هـ): *زاد المسير في علم التفسير*: تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي.

-ابن عاشور، محمد الطاهر بن الطاهر بن عاشور (المتوفى : ١٣٩٣هـ) (١٩٨٤م): *التحرير والتنوير* (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، تونس: الدار التونسية.

-ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ) (١٩٧٩م): *مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر.

-ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) (١٩٩٩م): *تفسير ابن كثير* (تفسير القرآن العظيم): تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط٢: دار طيبة للنشر والتوزيع.

-ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٢٠٠٦م): *البداية والنهاية*، ط١، القاهرة: دار ابن الهيثم.

-ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت/٢٧٣ هـ) (٢٠٠٩م): *سنن ابن ماجه*،تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط١: دار الرسالة العالمية.

-أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى (د.ت): *زهرة التفاسير*، مصر: دار الفكر العربي.

- البغا، مصطفى ديب، ومستو محيي الدين ديب (١٩٩٨ م): *الواضح في علوم القرآن*، ط٢، دمشق: دار الكلم الطيب / دار العلوم الإنسانية.

- البوطي، محمّد سَعيد رَمضان (١٤٢٦هـ): *فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة*، ط ٢٥، دمشق: دار الفكر.

-البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن (المتوفى: ٦٨٥هـ) (١٤١٨هـ): *تفسير البيضاوي* ( أنوار التنزيل وأسرار التأويل) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة(ت ٢٧٩هـ) (١٩٧٥ م): *سنن الترمذي*: تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي،وإبراهيم عطوة عوض، ط٢ ، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

- التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي الفاروقي الحنفي (١٩٩٦م): *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، ط١، بيروت:مكتبة لبنان ناشرون - بيروت

- الجديع، عبد الله بن يوسف (٢٠٠١ م) :*المقدمات الأساسية في علوم القرآن*، ط١، ليدز – بريطانيا: مركز البحوث الإسلامية.

- الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (٢٠٠٩): *دَرْجُ الدُّرر في تَفسيرِ الآيِ والسُّوَر*، تحقيق: القسم الأول (طلعت صلاح الفرحان)، القسم الثاني (محمد أديب شكور أمرير) ط١، عمان، الأردن: دار الفكر

- الحنبلي، مجير الدين بن محمد (٢٠٠٩م): *فتح الرحمن في تفسير القران*، تحقيق: نور الدين طالب، ط١، وزارة الأوقاف، سوريا، دار النوادر.

-الحكيم، السيد محمد باقر (١٤٢٨هـ): *علوم القرآن*، ط٨، قم-إيران: مجمع الفكر الإسلامي.

- الخادمي، نور الدين بن مختار(٢٠٠١م): *علم المقاصد الشرعية*، ط١، السعودية: مكتبة العبيكان.

- الخطيب، عبد الكريم (١٩٧٥م): *القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف*، ط١، بيروت لبنان: : دار المعرفة.

- الرازي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (المتوفى: ٦٦٦هـ) (١٩٩٩م): *مختار الصحاح*: ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، بيروت – صيدا: المكتبة العصرية - الدار النموذجية.

-رشيد رضا، محمد رشيد رضا (١٩٩٠م): *تفسير المنار(تفسير القرآن الحكيم)*: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (١٤١٢ ه): *المفردات في غريب القرآن*: تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دمشق- بيروت: دار القلم، الدار الشامية.
- الراغب: عبد السلام أحمد (٢٠٠١ م): *وظيفة الصورة الفنية في القرآن*، ط١، حلب: فصلت للدراسات والترجمة والنشر
- الزَّبيدي، محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، (المتوفى: ١٢٠٥هـ) (د. ت): *تاج العروس من جواهر القاموس*،تحقيق: مجموعة من المحققين: دار الهداية.
- الزجاج أبو إسحاق إبراهيم (١٩٨٨ م): *معاني القرآن وإعرابه*: تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، بيروت: عالم الكتب.

- الزحيلي، د. محمد مصطفى (٢٠٠٦ م): *الوجيز في أصول الفقه الإسلامي*، ط٢، دمشق: دار الخير.
- الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم (د. ت): *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ط٣، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي.

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (١٤٠٧ هـ):، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ط٣: بيروت: دار الكتاب العربي.

- السامرائي: د. فاضل السامرائي، د. حسام النعيمي، د. أحمد الكبيسي: لمسات بيانية لسور القرآن الكريم- موقع: جامع الكتب الإسلامية.

-السبكي، أبو الحسن علي بن عبد الكافي، وولده تاج الدين (١٩٩٥م): الإبهاج في شرح المنهاج،، بيروت: دار الكتب العلمية.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت/ ١٣٧٦هـ) (-٢٠٠٠ م): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- السلقيني، د. عبد الله محمد (٢٠٠٢م): الموجز في علوم القرآن وأصول التفسير، ط١، دمشق: دار المكتبي.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ) (١٩٧٤م): *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
- الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (١٤١٢هـ): *الاعتصام*، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط١، السعودية: دار ابن عفان.
- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (د.ت): *الموافقات*، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، دار ابن عفان.
- الشحود، علي بن نايف (٢٠١٢ م)، النصر والتمكين آت بإذن الله، ط١، طبعة المؤلف.
- الشوكاني،محمد بن علي (١٤١٤هـ): *فتح القدير*، ط١، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.
- الشوكاني،محمد بن علي (١٩٩٩م): *إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول*، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، ط١، دمشق -كفر بطنا، تقديم: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور: دار الكتاب العربي
- الصَّلاَّبي، علي محمد (٢٠٠١ م): *تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم*، ط١، الشارقة - الإمارات مكتبة الصحابة، مصر – القاهرة مكتبة التابعين،.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (١٩٩٥ م): *المعجم الأوسط*، تحقيق: أبو معاذ طارق - أبو الفضل الحسيني، القاهرة دار الحرمين.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٠٠١م) : *تفسير الطبري* (جامع البيان عن تأويل آي القران)، تحقيق: الدكتور التركي، ط١، مصر، دار هجر.
- الطنطاوي، محمد سيد (١٩٩٨م): *تفسير الوسيط*، ط١، مصر، القاهرة: دار نهضة.
-فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت/٦٠٦ه) (١٤٢٠هـ): *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)*، ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (المتوفى: ٦٧١هـ) (١٩٦٤م): *تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)*: تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة-مصر: دار الكتب المصرية.
- القطان، الشيخ مناع (٢٠٠٠م): *مباحث في علوم القرآن*، ط٣، مصر: مكتبة المعارف.
-قطب، سيد (١٤١٢هـ): في ظلال القران، ط ١٧، بيروت- القاهرة: دار الشروق.
- القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان (١٩٩٢ م): *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*، تحقيق: عَبد الله الأنصَاري، صيدا بيروت: المكتبة العصريّة.
- الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد (ت ٣٣٣هـ) (٢٠٠م): *تفسير الماتريدي* (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط١، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (د. ت): *النكت والعيون*، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، بيروت: دار الكتب العلمية
- المباركفوري، صفي الرحمن، (المتوفى: ١٤٢٧هـ) (د.ت): *الرحيق المختوم*، ط١، بيروت: دار الهلال.
- محمد علي، مقداد يالجن (٢٠٠٣م): علم الأخلاق الإسلامية، ط١، الرياض: دار عالم الكتب
- مختار، د أحمد عبد الحميد عمر (٢٠٠٨ م): *معجم اللغة العربية المعاصرة*، ط١، عالم الكتب.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت/ ٢٦١ هـ) (١٩٥٥م): *صحيح مسلم*:تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي.

-النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد (١٩٩٨م): *تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)*، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، ط١، بيروت: دار الكلم الطيب.

- النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن (٢٠١٩ م): *التيسير في التفسير*، تحقيق: ماهر أديب حبوش وآخرون، ط١، أسطنبول – تركيا: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث.

-الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، (١٩٩٢م): *أسباب نزول القرآن*، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط٢، دار الإصلاح – الدمام.
- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية (١٤٢٧هـ): الموسوعة الفقهية الكويتية،: الكويت:وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

**المجلات والمواقع الالكترونية:**

- اسلام ويب، *القصص القرآني*. https://www.islamweb.net (تاريخ الزيارة: ٢٠٢٣/١٢/٢٥):
- الجرمان، د عبد الرحمن (د. ت): مكافحة القرآن الكريم للفساد- دراسة موضوعية، الهيئة العامة للتعليم الكويت. مشروع بحث رقم (١-١٨-BE) .

- الخادمي، نور الدين مختار : *فقه المرحلة* ، الموقع: الجزيرة نت، (تاريخ الزيارة ٢٠٢٤/١/١).

- الفيومي، عاطف عبدالمعز: تأهيل الأمة للقيادة والخلافة الإسلامية الراشدة: الألوكة، تأريخ الإضافة: ٢٠١٣/٤/١٨، تأريخ الزيارة: (٢٠٢٣/١٢/٢٠)
- القرشي، د. منال بنت منصور ، (٢٠١٨م) : *القصص القرآني في الدراسات التربوية:* (مجلة بحوث كلية الأداب-جامعة المنوفية، مج ٢٩، عد ١١٣ ).
- المحارب، د. رقية: [لِمَ تَتكرَّر قصَّة مُوسى-عليه السَّلام- في القُرآن؟ ]صيد الفوائ saaid.org/twitter/273. تاريخ الزيارة (٢٠٢٣/١٢/٢٠).
- النمر ،سلامة إبراهيم: *الاقتداء بالرسل عليهم الصلاة والسلام في خلق الصبر:* - شبكة الألوكة. (تاريخ الزيارة: ٢٠٢٣/١٠/٥)
-- *داود عليه السلام بين النبوة والخلافة*، assabeel.net/290519(تاريخ الزيارة: ٢٠٢٣/١٢/٢٠).

پوختە
ئەم توێژینەوەیە بەناونیشانی (فقهی قۆناخ لەرێگەی چیرۆکە قورئانییەکانەوە)، ئامانجی لێکۆڵینەوەیە لەو هەلومەرجەی کە چیرۆکەکان لە قۆناغی پێش کۆچی و دوای کۆچیدا تیایدا دەرکەوتوون، بۆ ئەوەی بتوانین لەرێگەی ئەوانەوە لە واقیعی خۆمان تێبگەین. توێژینەوەکە پێکدێت لە پێشەکییەک بۆ ناساندنی وشەسازی ناونیشانەکە، بەشێک لەسەر پرسە تایبەتەکان بە قۆناغی مەککە، بەشی دووەم: لەسەر پرسە تایبەتەکان بە قۆناغی مەدینان، و بەشی سێیەم: لەسەر پرسە هاوبەشەکان بۆیان. توێژینەوەکە بە ئەنجامەکانی کۆتایی هات کە بریتی بوون لە: قورئانی پیرۆز تیشکی خستە سەر گێرانەوەی چیرۆکەکان وەک دیارترین لایەن، و ئەوەی پێغەمبەران و شوێنکەوتووانی کردوویانە هەموویان ئەزموونی سەرکەوتوو بوون، ئەمەش وایکردووە کە پێویست بکات ئێمە کار بکەین و شوێن پێی ئەوان بکەوێت، و سوود لە ئەزموونەکانیان وەربگرین کە بەسە بۆ ڕووبەڕووبوونەوەی تەحەددیاتەکان و بەدەستهێنانی ئەو سەرکەوتن و بەهێزکردنەی کە بە ناچاری بەدەست دێت - بە مۆڵەت. خودا - تەنانەت دوای ماوەیەک.
وشەی سەرەکی: فیقە، قۆناغ، چیرۆک، قورئان، مەککە، مەدینان